استشراف المستقبل والتخطيط له وحاجة الدعوة والداعية إليه دراسة تأصيلية في بيان أهميته ووسائل معرفته من خلال نصوص السنة النبوية

د. علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة
المدينة المنورة، السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، القائل: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨، والصلاةُ والسلام على إمام الدعاة ﷺ الذي راعى الماضي، وعايش الحاضر، واستشرف المستقبل وخطط له، ووجه الدعوة والدعاة إلى ما سيقدمون عليه في قابل الأيام؛ فقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه لليمن: «إنك تقدم على قوم أهل الكتاب ، فليكن أوّل ما تدعوهم إليه عبادة الله..»[1]، ورضي الله عن صحابته الكرام الذين قاموا بواجب الدعوة إلى الله وفَقِهوها ووضعوا كل شيء في مرتبته بالعدل، فبلّغوا الرسالةَ وأدوا الأمانة، وقالوا للناس حسنًا، وبعد:

فإنّ من البصيرة في الدعوة إلى الله التي هي وظيفة الأنبياء، ورسالة الله في كتابه الحكيم؛ أن تقوم على خطط محكمة تهدي للتي هي أقوم، ولذلك كان استشراف المستقبل والتخطيط له أولى من مفاجآته دون سابق توقع وتقدير، فنجاح الداعية في الغالب متوقف على قوة أو ضعف استشرافه للمستقبل، والتخطيط له، وذلك مما لا ينبغي الزهد فيه أو الاستغناء عنه، لأنّ الوقوف وعدم تقدير الظروف، ومعرفة الخطوات القادمة، أمر غير مقبول ولا تحصل منه نتيجة، وهو فشل وتخبط: «والأجدر بأهل الحقّ أن يأخذوا بالأسباب، فيخططوا ويتوكلوا على الله، ويفرقوا بين الأمنيات والإمكانات، ولا ينطلقون من خيال، إنما من واقع مدروس»[2].

١- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، برقم (١٤٥٨)، (١ / ٤٥٠).

٢- الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز ص (٧٢).

وموضوع المستقبل واستشرافه؛ يشترك فيه جميع البشر، فالحياة التي يعيشونها تبحر بهم إلى المستقبل، وساعاتها وأيامها تتقدم بهم دائما إلى الأمام، والعبرة في سعادة البشر هو ما تؤول إليه حياتهم في نهاية المطاف؛ لأنّ العبرة بالخواتيم، وغيابه في حياة الناس عموما والدعاة على الأخص يؤدي إلى كثير من التخبط والعشوائية في المواقف وتقدير الخطوات، بل قد يجعل الواحد يعيش في دوامة وحيرة لعدم وضوح الرؤية عنده، وللغموض الذي يسيطر على مستقبله وطموحاته، وهناك تصورات خاطئة لبعض المفاهيم الشرعية تزهّد البعض في الانطلاق والتخطيط والتفكير في المستقبل، فيعيش حياته خاملا، لا يفكر في أبعد من قدميه[1].

واستشراف المستقبل والتخطيط له أصبح في عالم اليوم من الضروريات؛ لأنّ العالم لا يستمدّ قوته من عضلاته المفتولة ولا من قدر الحديد الذي يملكه؛ لكنّه يستمدّ قوّته بالدّرجة الأولى من قوّة استشرافه للمستقبل والتخطيط له، وبعد النظر، واستحضار النظرة المستقبلية للأمور، وهذه المعاني والمعالم لا يمكن أن تستغني عنها الدعوة إلى الله «في عصر يؤسس كل شيء على العلم، ولم يعد يقبل الارتجال والغوغائية في أمر من أمور الحياة، فلا بد لأيّ عمل جاد من الدراسة قبل العزم عليه، ولا بد من الإقناع بجدواه قبل البدء فيه ولا بد من التخطيط قبل التنفيذ»[2]، ويعتبر (**استشراف المستقبل والتخطيط له والفقه فيه**) معلما مهما في نجاح الدعوة والداعية؛ لأنّه وجد من الدعاة المخلصين من تأثر بواقع المسلمين المرير، وما هم فيه من ضعف، فتحمس للتغيير، وإنقاذهم مما هم فيه، وانطلق في تنفيذ واجب الدعوة إلى الله؛ دون استشراف

١- مثل الفهم المغلوط لمعنى الإيمان بالقضاء والقدر، واستشراف المستقبل والتخطيط له؛ ليس فيه معارضة للإيمان بالقضاء والقدر والتسليم له، فالإيمان بالقدر لا يدعونا إلى التقاعس عن العبادة وعمل الخير، فنحن: "نفر من قدر الله إلى قدر الله"، مالك في الموطأ (٢ / ٨٩٥ برقم ١٥٨٧).

٢- في فقه الأولويات، د. يوسف القرضاوي ص (٧٣).

مستقبل أيامه ودون أن يخطط ويدرس حجم الواجب الذي عليه أن يؤديه، والقادم الذي ينتظره ويترتب عليه؛ فكانت النتيجة المباشرة أنّ هؤلاء الدعاة أخذوا «يرتجلون في أعمالهم وأقوالهم،ويتخبطون في منهجياتهم وأساليبهم ووسائلهم، منطلقين في ذلك من الرغبة في تحقيق واجباتهم، غاضّين النظر عن إمكاناتهم وقدراتهم»[1].

وتتأكد الحاجة للنظر إلى المستقبل واستشرافه والتخطيط له في حياة الدعوة والداعية،لأنّ العمل الدعويّ بحاجة ماسة إلى رؤية مستقبلية متكاملة وواضحة، بعيدا عن الارتجال والعشوائية والتخبط، وردّات الأفعال التي نلحظها بارزة في الأعمال الدعوية والمشاريع الإصلاحية، حتى يحصل للدعوة الاستقرار والأمان والقوة، التي هي من صميم الإعداد المأمور به شرعًا **فلنعدّ في هذا المجال ما نستطيع من قوة**[2].

والداعية إلى الله أولى الناس باستشراف المستقبل والتخطيط له، لأنّ واجبه أن: «لا يَدَعَ الأمور تجري في أعنتها من غير انتفاع بتجارب الأمس، ولا رصد لوقائع اليوم، ولا تقويم للصواب والخطأ في الاجتهادات، ولا مقدار المكاسب والخسائر في المسيرة بين الأمس واليوم،ولا معرفة دقيقة بما لدينا من طاقات وإمكانات مادية ومعنوية، ظاهرة أو كامنة، مستغلة أو مهدرة، وما هي مصادر القوة ونقاط الضعف»[3].

ولا ينبغي أن يُفهم أنّ استشراف المستقبل والتطلع لمعرفته أمر شكلي، بل

١- فقه الموازنات الدعوية معالمه وضوابطه، د. معاذ محمد أبو الفتح البيانوني، ص (٢٦٦) .

٢- ولذلك "فالإسلام دين يطالب بالتخطيط في كلّ عمل، وفي كل وقت، في السلم والحرب، وفي الأمان والخوف، بل ما من شيء دعا إليه الإسلام إلا نظمه وجعل له أسلوبا جيدا في إدارته، والدعاة إلى الله تعالى عليهم عبء التخطيط والتنظيم، وحسن الإدارة ما يفارقهم أبدا، ولا يقوم به سواهم، لأنهم الميدانيون القادرون على ذلك". ينظر: فقه الدعوة إلى الله، د. على عبد الحليم محمود (١ / ٢٨١).

٣- في فقه الأولويات، د. يوسف القرضاوي ص (٧٣).

هو عين الفقه والبصيرة في الدين؛ للإحسان في الدعوة والتخطيط لها[1] الذي هو مهمة الدعاة إلى الله والباحثين، فلا ينبغي أن تقتصر دراساتهم على الأبحاث التراثية التي تستعرض الماضي وتجترّ أحداثه، أو الاكتفاء بالتعاطي مع الطوارئ والنوازل فحسب، بل لا بد أن تتجاوز البحوث والدراسات الزمان والمكان؛ لتفتح آفاق المستقبل للدعوة والداعية، حتى يرسم خطواته، ويحدد خارطة طريق دعوته بمعالم مدروسة، وفقه دعوي أصيل ومعاصر؛ معتمدا على منطلقات شرعية، ومع التقدير والاحترام لكل الماضي والحاضر لكن الاهتمام بالمستقبل لا بد أن يكون حاضرا دائما في ذهن الداعية، وظاهرا في جهوده العلمية والعملية؛ لأنه نتيجة منطقية للماضي والحاضر[2].

وسنحرص في هذه الورقات على تأصيل هذه الحقيقة، وفقه شيء من معالمها، والوقوف على أبرز الوسائل في معرفة المستقبل، بعد التمهيد لهذه الوسائل والطرق بفصل يحسن فيه التعريج على أهمية استشراف المستقبل في حياة الدعوة والداعية، غير أن موضوع استشراف المستقبل والتخطيط له؛ موضوع واسع وعلاقته بالدعوة والداعية تزيده سعة وإثراء، ولكن محور المشاركة في هذه الدراسة هو الربط بين أهمية استشراف المستقبل والتخطيط له، وبيان حاجة الدعوة والداعية إليه في العصر الحديث الذي أصبحت كل المشاريع فيه لا تقوم إلا على الدراسات المستقبلية واستشراف المستقبل، وستركز الدراسة

١- يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله مبينا أهمية الدراسات المستقبليّة ومناقشا من لا يحبذونها ويتحفظون عليها: "من الناس من يصورون الدين في موقف المعارض أو المناقض لفكرة التخطيط العلمي للمستقبل، وهذا من أثر الفكرة القديمة التي جعلت العلم مقابلا للإيمان، فهما ضدان لا يجتمعان، أو خطان متوازيان لا يلتقيان، والحقيقة: أن فكرة الدين في جوهرها قائمة على أساس التخطيط للمستقبل، ففيه يأخذ المرء المتدين من يومه لغده، وبعبارة أخرى من حياته لموته، ومن دنياه لآخرته، ولابد له أن يخطط حياته، ويضع لنفسه منهاجًا يوصله إلى الغاية، وهي رضوان الله تعالى". ينظر: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، للدكتور يوسف القرضاوي، ص(١١١).

٢- حيث تهتم أكثر البحوث بسبر أغوار التراث والماضي رغم أهميته، ولا تؤتي تلك الدراسات أكلها إلا ذا ظهرت نتيجتها بدراسة الواقع والتعاطي معه، ويكتمل مثلث الفهم والتوفيق عندما تقطف الثمرة باستجلاء المستقبل واستشرافه والتخطيط له.

في صلبها على الوسائل الشرعيّة لاستكشاف المستقبل والتعرف عليه وتجليته، كل ذلك بالتأمل في النصوص، من خلال الأحاديث الشريفة والهدي النبوي لإمام الدعاة ﷺ لتكون هذه الورقات دراسة تأصيلية من خلال نصوص السنة النبوية المطهرة لـ: (استشراف المستقبل والتخطيط له وحاجة الدعوة والداعية إليه) وتأتي تحت عنوان:

استشراف المستقبل والتخطيط له وحاجة الدعوة والداعية إليه

دراسة تأصيلية في بيان أهميته ووسائل معرفته من خلال نصوص السنة النبوية

مدخل في التعريفات:

لما كان الحكم على الشيء فرع عن تصوره كان البدء بالتعريفات أولى ما يقدم بين يدي الحديث، والمقصود من التعاريف ليس الحشو والاستطراد وإنما مقصودها تقريب المعاني، وأهم المصطلحات التي قد تحتاج إلى تعريف ومزيد بيان، وترتكز عليها الدراسة هي: (الاستشراف، والوسائل) وقبل أن نبدأ بتعريف مختصر لكل منها؛ **أقول**: إنّ الاهتمام بهذا الموضوع ليس جديدا، فقد ظهرت دراسات قديمة وحديثة مباشرة وغير مباشرة في بعض جوانبه وتفريعاته، وجاءت هذه الندوة العلمية الدولية الخامسة واختارت عنوانا موفقا هو: (الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنَّة النبويَّة) لتجمع الجهود، وتعمق تلك الدراسات[1].

١- ومن تلك الدراسات التي وقفت عليها، وأفدت منها:
- الدراسات المستقبلية من منظور تربوي، فاروق فلية، وأحمد عبد الفتاح.
- المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة، أحمد صدقي الدجاني.
- نحن والمستقبل، قسطنطين زريق.
- المستقبل الحق خطواته من الدنيا إلى الجنة، محمد جميل مصطفى.
- مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي، وليد عبد الحي.
- الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية لعبد الله محمد المديفر (بحث ماجستير غير منشور).

أولا: تعريف الاستشراف: في اللغة [1]: أصله من شرف وأشرف وتشرّف واستشرف، يقال: شرف المكان شرفا أي ارتفع ، والرجل شرف أي: علت منزلته فهو شريف، (وأشرف) الشيء علا وارتفع عليه، واطلع من فوق وقاربه، (وتشرّف للشيء) تطلع إليه، ومنه (تشرّف البناء) أي: جعلت له شرف، ومعنى الفعل (استشرف) أي: انتصب وعلا، واستشرف الشيء أي: رفع بصره ينظر إليه، وتشرّف الشيء واستشرفه: إذا وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه، وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي: «استشرف: انتصب، واستشرَفَ الشيء: إذا رفَعَ رأسَه أو بصَرَه لينظرَ إليه».

الاستشراف في الاصطلاح: ومن خلال المعاني اللغوية فإن مداره المقصود هنا المستقبل والتبصر بأحداثه والألمعية والحدس والفراسة بما سيكون فيه، والتحسس والتطلع لاستكشافه وتقدير ما يتوقع فيه، وما سيطرأ على الحاضر من متغيرات ومستجدات، فهو باختصار: (توقع ما سيحدث في المستقبل).

وقد عرّفه المتخصصون بأنّه: «اجتهاد علمي مُنظَّم، يرمي إلى صوغ مجموعةٍ من التوقُّعات المشروطة التي تشمل المعالم الرئيسة لأوضاع مجتمع ما، أو مجموعة من المجتَمَعات، في فترة زمنية مقبلة»[2].

فهناك تلازم وتكامل بين استشراف المستقبل والتخطيط له، لأنّ التخطيط هو أحد العناصر المهمَّة لإنجاح أيِّ عمل، ودراسة المستقبَل هي أحد العناصر الرئيسة لنجاح التخطيط، ولذلك اكتفيت بتوضيح معنى الاستشراف لأنّه المقصود الأصيل في عنوان البحث، والذي تدور عليه الدراسة،والذي انتهى إليه المتخصصون في العلاقة بين المستقبل والتخطيط أنّ «دراسة المستقبل خطوة سابقة لعملية التخطيط، فهو تشوف واستطلاع وريادة، أما التخطيط فهو خطوة

١- ينظر: لسان العرب، لابن منظور ٩ / ١٧١، والقاموس المحيط مادة (شرف) ص (٢٢٩).
٢- ينظر الدراسات المستقبلية من منظور تربوي، لفاروق فلية، وأحمد عبد الفتاح ص (١٧).

لاحقة، وهو توظيف لنتائج التشوف والاستطلاع، إذًا المستقبليُّ عبقريٌّ رائد، والمخططُ أكاديميٌّ عالم، وإن كان بين هذين المجالين كثير من التداخل والتشابه في معظم الأحيان» [1].

ثانيا: تعريف الوسائل: في اللغة: من الفعل (وسل) ومفردها وسيلة، على وزن فعيلة، وهي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وتطلق الوسيلة على عدة معان منها: (**الوصلة والقربة**) يقول الإمام ابن منظور: (الوسيلة: الوصلة والقربى، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(سورة الإسراء:٥٧)، ومنها: (**المنزلة والدرجة**) ففي حديث الأذان: «اللهم آت محمدا الوسيلة»[2]، وفي حديث إجابة المؤذن: «ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو»[3]. ومنها: (**الرغبة والطلب**) كما ذكره صاحب معجم مقاييس اللغة، بقوله: «يُقال: وسل: إذا رغب، والو اسل: الراغب إلى الله عز وجل»[4].

الوسائل في الاصطلاح: تنوعت وتعددت التعاريف الاصطلاحية للوسائل؛ فمن أبرز ما وقفت عليه من تعاريف أهل العلم المتخصصين لها، قول بعضهم إنّها: «الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته»[5]. وقيل إنّها: «ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية»[6]. وقيل إنّها: «ما يتوصل به إلى دعوة الناس بطريق شرعي»[7].

١- ينظر عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة، أحمد صدقي الدجاني ص (١٥).
٢- أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، برقم (٦١٤)، (٢ / ١٧١).
٣- أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه برقم (٣٨٤)، (١ / ٢٨٨).
٤- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٦ / ١١٠).
٥- محمد بن الصالح العثيمين، زاد الداعية إلى الله، ص (١١).
٦- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص (٤٩).
٧- عبد الرحيم محمد المغذوي، وسائل الدعوة، ص (١٦).

الفصل الأول: مقدمات في أهمية التأصيل واستشراف المستقبل والتخطيط له في حياة الدعوة والداعية.

المطلب الأول: في بيان أهمية التأصيل الشرعي للدعوة إلى الله تعالى:

– **مفهوم التأصيل وأهميته**: التأصيل كلمة جذرها (أصل): والهمزة والصاد واللام لها دلالات متنوعة في اللغة، أظهرها وهو المراد هنا: أنّ الأصل بمعنى: أساس الشيء الذي يقوم عليه، يُقال: أصَّل الشيء أي جعل له أصلا ثابتا يبنى عليه، والأصل منشأ الشيء الذي يخرج أو ينبت منه، يقال: استَأصَلَتْ الشجرة، أي ثبت أصلها، ويقال: استَأصَلَهُ أي قطعه من أصله، والرأي الأصيل: ماله أصل، ورجل أصيل: ثابت الرأي عاقل[1].

ومن خلال هذا المعنى اللغوي فإنّ المقصود بالتأصيل في الدعوة إلى الله هو: أن يبني الداعية دعوته وينطلق فيها من خلال الأصول المعتبرة ونصوص الكتاب والسنة، ويبني آراءه وخطواته من خلالها للوصول إلى الفقه الدعوي الذي به يحقق الصواب والنجاح، ومن هنا فإنّ مصادر الشريعة الإسلامية هي أساس الدعوة وأصلها الذي تنطلق منه، وتستند عليه، أما أن ينطلق الداعية في دعوته ويندفع بدون مستند شرعي أو أصل معتبر؛ فهذا مرفوض وهو ما أوقع كثير من الدعوات والدعاة في الانحراف وعدم التوفيق بسبب غياب التأصيل الشرعي في الميدان الدعوي أو التقصير فيه[2]، **ولذلك كان للتأصيل في الدعوة فوائده الكثيرة التي منها:**

١- ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس مادة (أصل) (١ / ١٠٩)، ولسان العرب، ابن منظور مادة (أصل) (١١ / ١٦)، والقاموس المحيط مادة (أصل) ص (١٢٤٢)، والمعجم الوسيط مادة (أصل) (١ / ٢٠).

٢- وهنا تبرز ظاهرة ليّ أعناق النصوص الشرعية، والفقه الأعوج؛ الذي يظهر عند بعض من يتصدرون للدعوة؛ ليبرروا ما قاموا به من أعمال، ويفسروا تلك النصوص والأصول على هواهم لتوافق آراءهم وأفعالهم التي قاموا بها.

١- إنّ التأصيل الشرعي في الدعوة إلى الله يحقق العبودية لله تعالى؛ لأنّ الداعية يقوم بواجب شرعي مفروض عليه، فلا بد أن يحقق هذا الواجب بما شُرع من خلال التوجيهات الربانية والسنن النبوية؛ والأصول الشرعيّة المعتبرة؛ حتى تكون دعوته وفق منهج الله، وكما يحبها الله ويرضاها، لا برغباته وهواه، فلا يعبدَ الله إلا بما شرع[١] ولذلك فلا ينبغي أن يُقدم على شيء إلا بعد أن يعرف الأصل فيه والدليل الذي يبنى عليه، يقول الإمام سفيانُ الثوريُّ رحمه الله: «إن استطعتَ أنْ لا تحك رأسكَ إلا بأثرٍ فافعل»[٢]، فكيف بأمر الدعوة إلى الله؛ وهي بالمكانة التي لا تخفى، فالنصوص الشرعيّة هي الأصل في إدراك كيفية عبادة الله والدعوة إليه، كما أنّها تحفظ الداعية من الابتداع والانحراف عن الشرع والدين، والدعوة إمّا أمرٌ بمعروف، وإما نهيٌ عن منكر، والدليل لمعرفة المعروف من المنكر والتمييز بينهما هو الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إنّ: «الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله، وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، ويُؤمر بالمعروف الذي أمر الله به، وينهى عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، وإلا فلا بد أن يأمر وينهى، ويُؤمر ويُنهى، إما بما يضادّ ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم ينزله الله، وإذا اتخذ ذلك دينًا:كان مبتدعا ضالا باطلا»[٣].

٢- التأصيل الشرعي في الدعوة إلى الله؛ يقرب الدعاة والدعوات، ويجمعهم ويقلل الخلاف بينهم ويخفف التباين في وجهات النظر، لأنّ وحدة الأصول

١- فالدعوة إلى الله عبادة كسائر العبادات، والعبادة لابد لها من شرطين هما: الإخلاص والمتابعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله،ولا نعبده إلا بما شرع وذلك تحقيقا للشهادتين.. ففي الأولى أن لا نعبد إلا إياه، وفى الثانية أن محمدا رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره". ينظر: مجموع الفتاوى(١٠ / ٢٣٤).

٢- ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (١ / ١٤٢).

٣- ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨ / ١٦٩).

والمراجع والمنطلقات يجعل وجهات النظر والآراء متقاربة، وإن اختلفت فهناك قواسم مشتركة؛ تخفف من وطأة الخلاف والتباعد الذي قد يحصل؛ ولذلك كان الخلاف بين الصحابة قليلٌ ومحدود، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «اختلاف الصحابة لم يضر؛ لأن الأصل الذي بنوا عليه واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والقصد واحد، وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد، وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل رأي وقياس وذوق وسياسة»[1].

٣- التأصيل الشرعي يمكّن الداعية من إدراك حقيقة ما يدعو إليه؛ مطمئنا لما يفعل مقتنعا به؛ فيكون بذلك متخصصا ومؤهلا في دعوته؛ لأنّ التخصص يجعل الشخص قادرا على إدراك جوانب تخصصه، بصورة أوضح من غيره، ونظرة المتخصص ليست كنظرة غيره، فهو ينظر بنظرة شاملة لجميع الجوانب، وأمّا غير المتخصص؛ وإن أدرك بعض المعاني والجوانب؛ لكنّها في الغالب تكون قاصرة، ولذلك فمهما حاول الداعية غير المتخصص، الذي لا يسير على أصول ثابتة تأصيل الدعوة وفقهها فلن ينجح في ذلك.

٤- التأصيل الشرعي في الدعوة إلى الله يجعل الداعية شخصية اعتبارية متماسكة، وصاحب سلوكيات ومواقف غير متذبذبة وغير متناقضة بالجملة، لأنّ الانطلاق من أصول شرعية واحدة، ومنطلقات مشتركة ومعتبرة؛ يكون صمّام أمان لمن يعتمد عليه وينطلق منه ويعود إليه، كلما احتاج إلى ذلك، بل ويفتح عليه من الآفاق ويجعله مبحرا في فقه واسع من المعاني والكنوز التي لا تنضب بإذن الله لأنّها من وحي الله تعالى.

١- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (٢ / ٥١٩).

المطلب الثاني: في بيان أهمية إعداد الدعاة وتأهيلهم لما يستقبل من المتغيرات والأحداث:

فالداعية إلى الله؛ هو الركن الأول والأهم من أركان الدعوة، وهو المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه[1] ولذلك كان وجوده اختيار من الله، فلا يتصور أن تكون دعوة أو ينقل خير إلى الغير بدون ناقل ورسول يقوم بذلك، وكانت السنة الربانية ماضية في إرسال الرسل إلى الناس جميعا، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(سورة فاطر :٢٤)، ولذلك كان تأهيلهم للقيام بواجب وحمل الأمانة من أهم المهمات حتى يدخلوا في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة السجدة:٢٤)، ومعنى أن يكون من الأئمة المهديين؛ أن يخلفوا النبي ﷺ في القيام بهذا الواجب؛ ويتحمل أعباء الدعوة ومسؤولياتها، بحسب علمه وقدرته وفقهه، ويتفاوت حكم هذا الوجوب لاعتبارات كثيرة[2]، ومن خلال هذا التفاوت يتنوع الدعاة القائمون بالدعوة، والذي يهمنا هو تنويعهم على قسمين رئيسين: (الدعاة من العامة، الدعاة من الفقهاء)، ومقصودنا بهذا التقسيم والتعرض له هو بيان أنّ موضوع **(استشراف المستقبل والتخطيط له)** هو من الفقه الدعويّ الذي لا ينبغي أن يمارسه، ولا يتعرض له إلا خاصة الدعاة المؤهلين من العلماء والفقهاء وطلبة العلم، **وللتفصيل في هذا التقسيم والتنويع نقول:**

(١) الدعاة من العامة: فالدعوة إلى الله تعالى، رغم مكانتها وخصوصيتها، وعظيم قدرها؛ إلا أنّها واجب على الجميع ، وليست حكرا على الخاصة من أهل

١- المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص (٤٠)

٢- وإن كان واقع الدعوة اليوم يرجح الوجوب العيني كما قرره مجموعة من أهل العلم ومنهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حيث يقول: «وقد تكون الدعوة إلى الله تعالى فرض عين إذا كنت في مكان ليس فيه من يؤدي ذلك سواك، وعند قلة الدعاة، وكثرة المنكرات وغلبة الجهل كحالنا اليوم تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته». ينظر: فضل الدعوة إلى الله، لابن باز ص (١٤).

العلم والمعرفة والسلطان، بل هي حق شرعي مشاع للجميع ، فكل مسلم حتى لو كان من عامة الناس، وقليل البضاعة؛ فله أن يقوم بهذا الواجب بحسبه، وعلى قدر استطاعته[1] بشرط أن لا يقول على الله بغير علم، وأن يدعو إلى شيء يعلم حقه وصوابه ويحسن فيه؛ حتى لو كان آية واحدة أو حديث؛ فعن عبد الله بن عمرو أنه ﷺ قال: «بلّغوا عني ولو آية»[2]، فهذا النص الصريح في تبليغ الدعوة؛ جاء مراعيا لأولئك الذين لا يستطيعون فعل الكثير، بل كل واحد بأقل ما يمكن، وبحسب علمه وعلى قدر طاقته، حتى لو كان آية واحدة فقط لا غير «إنما قال: آية، أي من القرآن، ولم يقل حديثا فإن الآيات مع تكفل الله بحفظها واجبة التبليغ، فتبليغ الحديث يُفهم من باب أولى»[3] ومما يدلّ على أنّ الدعوة إلى الله حقّ للجميع حتى (العامة) قوله ﷺ: «نضر الله امْرَأً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[4]، والنبي ﷺ كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه، وهذه هي مراتب العلم الأربعة، فمن قام بها دخل تحت هذه الدعوة النبويّة المتضمنة لجمال الظاهر والباطن»[5].

(٢) الدعاة من الفقهاء: فالعلم بالأحكام الشرعية ، والفقه في الدين ؛ هما أساس الدعوة ولبّها ، وهو البصيرة التي أمر الله بالأخذ بها : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ

١- يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "قد يتوهم البعض أنّ واجب الدعوة إلى الله لا يلزمه، لأنه ليس من رجال الدين، وأن هذا الواجب واجب كفائي يجب على العلماء فقط لا على الجميع بدليل (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...". فالمقصود: أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه) ينظر كتابه أصول الدعوة ص(٣١٠).

٢- أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١)، (٦ / ٤٩٦).

٣- فتح الباري، لابن حجر (٦ / ٤٩٨).

٤- أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب فضل نشر العلم برقم (٣٦٦٠)، (٤ / ٦٨) والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع برقم (٢٦٥٧) وقال: حديث حسن صحيح. وقال المناوي في التيسير (٦ / ٣٤٩): إسناده صحيح.

٥- مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١ / ٧١).

أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ (يوسف: ١٠٨) ولا تحصل هذه البصيرة المأمور بها؛ إلا بالعلم والفقه في الدين، يقول الإمام ابن القيم: «وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، ولا بد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي»[١] وهؤلاء الدعاة من الفقهاء؛ واجب الدعوة في حقهم، ومسؤولياتهم في التبليغ والتوجيه أكبر؛ وإدراكهم لما يستقبل من الأمور أدعى، وقدرتهم على استشراف المستقبل أوضح وأقدر؛ لفقههم بالشريعة: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (النساء: ٨٣).

ولذلك كان الداعية الفقيه هو الأقدر على القيام بواجب الدعوة؛ لما يمتلكه من قدرات وإمكانات وسعة أفق وبعد نظر؛ أساسه العلم والتقوى؛ فنجاح الداعية في دعوته متوقف على دقة فهمه وفقهه وبصيرته، حتى تؤتي الدعوة أكلها وتظهر ثمارها؛ وخاصة ما ستُقدم عليه من خطوات وما يستقبلها من متغيرات؛ لأنّ معرفة المستقبل واستشرافه؛ فقه دقيق ومتداخل لا يستطيعه إلاّ خاصةُ **(الدعاة الفقهاء)**.

ومن نصوص السنة النبوية الدالة على ذلك ما جاء في حديث معاذ بن جبل لما أرسله ﷺ لليمن في الدعوة إلى الله تعالى وقال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أوّل ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم زكاةً في أموالهم تؤخذ من غنيِّهم فَتُرَدُّ على فقيرهم، فإذا أقرُّوا بذلك فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال النّاس»[٢]، والحديث

١- مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١ / ١٥٤).
٢- أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى التوحيد برقم (٧٣٧٢)، (١٣ / ٣٥٩).

أصل واضح للدعاة إلى الله الذين يكلفون بالقيام بواجب الدعوة في تقدير ما سيقبلون عليه، ومراعاة الأمر والاستعداد له قبل مباشرته؛ وهو مليء بالأحكام والتشريعات والفوائد المتنوعة المتعلقة بالدعوة على الخصوص[1]، والذي يهمنا الإشارة له في هذا السياق؛ كون الحديث جاء نصا في **بيان أهمية إعداد الدعاة وتأهيلهم لما يستقبل من المتغيرات والأحداث**، وقد أتمّ النبي ﷺ إعداده لمعاذ باستشرافه للمستقبل وتأهيله لما سيستقبله ويواجهه من المتغيرات والأحداث في تلك الأرض التي أرسله إليها، ونبهه إلى **أهمية تحديد نقطة البداية والخطوة الأولى للداعية بعد استشراف المستقبل**، لأن الداعية إلى الله يلزمه قبل أن يخوض غمار الدعوة، وقبل أن يقتحم ميدانها؛ أن يعلم ما أوّل عمل يقوم به، فيما يستقبل من أمره، وكيف تكون بدايته مع المدعوين عندما يبدأ معهم الدعوة؛ لأنّ ذلك سيؤثر على كل ما يقوم به بعد ذلك، وهذه البداية الموفقة هي المفتاح المناسب الذي يهيئ النفوس ويثيرها لقبول الدعوة؛ وإذا صلحت البدايات صلحت النهايات، وفي هذه الوصيّة لمعاذ بن جبل يبيّن النبي ﷺ طبيعة أهل اليمن، ويكشف لمعاذ واقعهم الذي سيلقاه أمامه، وسيقبل عليه، وما سيراه من المدعوين هناك في مقتبل الأيام، وما يناسب البداية به معهم وهو (الشهادتين) لأنّ ذلك سيسهل كلّ ما بعده؛ لأنّ الإنسان إذا استشعر معنى العبودية وتعرف على عظمة الخالق جل وعلا، وأنّه الواحد الأحد المستحق للعبادة، ناسب بعد ذلك أن يُكلّف شيئا فشيئا بالعبادات والأحكام والتشريعات الأخرى التي يقوم عليها الإسلام؛ كالصلاة والزكاة، فالمدعو لا يتقبل التكاليف ولا يضحي بشهواته وملذاته مالم يترسخ الإيمان في قلبه، يقول الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: «ووقعت البداءة بهما -أي الشهادتين- لأنهما أصل الدِّين الذي لا يصح شيء إلا بهما»[2].

١- وقد أفرد الدكتور عبد الرحيم المغذوي هذا الحديث بالدراسة الدعويّة، في دراسة بعنوان: (منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه).

٢- ينظر فتح الباري، لابن حجر (٤ / ١٢٧).

فاستشراف المستقبل، ومعرفة ما سيطرأ من أمور، ويستجدّ من متغيرات، مهم جدا في تحديد نقطة البدء، والدعوة إلى الله تعالى يجب أن تركز على الكل، وتبدأ بالأولى والأهم وهو الإيمان والتوحيد وتقدير الظرف واستشراف المستقبل الذي يدفع الداعية للبداية بما هو أنسب وتقديمه على غيره، لا يعني إهمال غيره وعدم العناية به، فليس معنى البداية بهذه الأصول والمهمات إهمال بقية أمور الدين أو التقليل من شأنها، أو دعوى أنها أمور شكلية وقشور، فدين الله عقائده وأحكامه وتشريعاته كلٌ لا يتجزأ، وكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مهم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧).

فإذا استشرف الداعية مستقبل دعوته، واتضحت الرؤية فيما سيكون، وتزاحمت عليه التكاليف والمهمات، **فسيقدر قبل الشروع في العمل والدعوة أيّ الأعمال يبدأ به**؛ لأنّ الأعمال بطبيعتها فيها تفاوت، وفيها أعلى وأدنى، وفاضل ومفضول، وركن وواجب ومستحب، وأهم ومهم، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «والأفضل في وقت حضور الضيف مثلًا القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل، والأفضل في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار، والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن، والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن أو المال: الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفه، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك... والأفضل في العشر الأخيرة من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف، دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم،حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم وإقرائهم القرآن... فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال

بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه»[1].

لذلك كان من أهم ما يؤهل الدعاة لما يستقبل من المتغيرات، استشراف المستقبل واستكشاف بيئة الدعوة وأفرادها، وتقدير نقطة البدء الأولى معهم؛ لأنّ البداية غير المناسبة بداية النفور من الدعوة والانحراف بها، واضطراب غير محمود يجعل الداعية يبدأ من حيث ينبغي أن ينتهي، أو ينتهي من حيث لزمه البدء [2].

المطلب الثالث: في بيان تاريخ استشراف المستقبل والتخطيط له وأهميته في حياة الناس والعمل الدعوي:

العناية باستشراف المستقبل والاهتمام به لا يمكن أن يكون من اهتمامات المعاصرين، ووليد الحياة العصريّة ومستجداتها كما يتصور البعض؛ بل هو فطرة في النفوس البشرية، فإنّها تفكر في المستقبل، وتخطط له، وتقدر عواقب الأمور، وطوارئ الأحداث، ومتغيرات الزمان والمكان، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «النفس لها شرف إلى التطلع على الحوادث قبل وقوعها»[3]، فالرغبة في استشراف المستقبل من الغيب الذي تولع به النفوس، وتحرص عليه وتتعلق به، وقد أكّد هذه المسلّمة عالم الاجتماع والخبير بأحوال الناس ابن خلدون حيث يقول في مقدمته رحمه الله: «اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم و علم ما يحدث لهم من حياة وموت، وخير وشر؛ سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها، فالتطلع

١- ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١ / ٨٨) بتصرف.

٢- يقول الأستاذ محمد قطب مشيرا إلى الخطورة إن لم تبدأ الدعوة بنقطة البدء اللازمة، وتجاوزتها إلى ما يجيء بعدها في الترتيب: "وقد أثبتت الأيام أن هذا الأمر كان في حاجة إلى مراجعة شديدة، وأن نقطة البدء كان ينبغي أن تكون هي تصحيح العقيدة ذاتها وجلاء مفهومها الحقيقي الذي غاب عن الجماهير، بل غاب عن كثير من الدعاة أنفسهم". ينظر: كتابه الصحوة الإسلامية ص (٦٠).

٣- مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٢ / ١٣٩).

إلى هذا طبيعة البشر؛ مجبولون عليها ولذلك تجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام والأخبار من الكهان في قصدهم بمثل ذلك من الملوك و السوقة معروفة، ولقد نجد في المدن صنفا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه، فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة و صبيانها وكثيرٌ من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه و المعاش والعشرة والعداوة وأمثال ذلك»[1]، فالاهتمام بالمستقبل واستشرافه والتخطيط له قديم قدم البشرية، ولكنّ ظهوره كعلم مستقل له مؤسساته ورجالاته ودراساته ظهر حديثا؛ كـ (علم للمستقبليات)[2] وهو من أحدث العلوم عند الغرب والتي كثر فيه المتخصصون، وأنشئت من أجلها المراكز البحثية، والهيئات العلمية؛ لما يشكله المستقبل من هاجس مخيف يحسبون له ألف حساب خاصة مع نظرتهم المادية وغياب الإيمان بالغيب في حياتهم.

وتتأكد الحاجة الماسة إلى استشراف المستقبل ومعرفة وسائل ذلك في هذه الأزمان التي أصبح كلّ ما فيها يبنى على الدراسات المستقبلية، والرؤية المتوقعة، أما الزهد والاستغناء عن استشراف المستقبل والتخطيط له، وإن كان من المسكوت عنه في أزمان سابقة، فإنه في عالمنا اليوم أصبح تخلفا غير مقبول، وتغريدا خارج السرب، وهذا الاهتمام المتأخر به، هو اهتمام متقدم سبقت إليه الأمة المحمدية، وأبرزته نصوص الوحي في الكتاب والسنة، لتخطو دعوة الإسلام بخطوات واثقة إلى الأمام دائما؛ وبلهجة صادقة لا تتكدر بالمتغيرات ولا تحرفها عن سيرها

١- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون (٢ / ٨٢١).

٢- حيث يؤرخ المعنيون لظهوره بأنّه في منتصف القرن العشرين عام ١٩٤٨م، ولكنهم يشيرون إلى كتابات ودراسات قبل ذلك بقرون تعني بالدراسات المستقبلية كما فعل أفلاطون في كتابه (الجمهورية) والفارابي في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) وكالكتابات في قصص الخيال العلمي ينظر للزيادة والتفصيل: نحن والمستقبل، قسطنطين زريق، ص٧٩، والدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، عبدالله المديفر، ص٤٩.

العواصف والمفاجآت؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها[1].

وهذا الموضوع ليس كما يظن البعض أنّه من الرجم بالغيب أو التعدي على المستقبل، أو التأصيل للأوهام والسراب، بل هو مطلب شرعي للانتباه، ومعرفة الطريق، وتحديد الوجهة والمقصد، كما أنّه قبل ذلك وبعده علاج للبسطاء من الوقوف مكتوفي الأيدي، والعيش في دوامة الحسابات اليومية، وعدم القدرة على تجاوز ما تحت الأقدام، لتلتفت الأنظار إلى الطريق أمامها والفرص المشرعة منه، والحفر العميقة فيه؛ ليتأكد لكلّ سائر في الطريق حتمية الحياة المستقبلية، وأن كلّ ما هو آت قريب، وأنّ العمل للمستقبل ليس أمرا فطريا دنيويّا فقط، بل هو أمر دينيّ؛ فقد جاءت النصوص الشرعيّة مؤكدة الاستعداد للمستقبل، وإعداد العدة لليوم الآخر، وأنّ المصير **في المستقبل** مرهون بما قُدّم **في الحاضر والماضي**.

وللدلالة على أهمية استشراف المستقبل في حياة الدعوة والداعية نذكر ما يلي:

أولا: في استشراف المستقبل تهيئة النفوس لقبول الحق وسماعه والاقتناع به:

فتبليغ الإسلام والقيام بواجب الدعوة وحصولها والقناعة بها؛ لا يمكن أن يكون بين ليلة وضحاها، بل يحتاج إلى وقت ومراحل من التهيئة لحصوله، ولذلك استغرقت الدعوة المحمدية ثلاثا وعشرين سنة؛ لتقع موقعها، وتستقرّ في النفوس، وتكتمل حقيقتها وصورتها؛ ولتصبح بعد ذلك دين الله الذي لا يقبل الله غيره ولا يرتضي سواه، ولذلك كان من المهم عند القيام بواجب الدعوة إلى الله؛ تهيئة النفوس والأجواء لتكون مناسبة لعرضها، حتى لا تكون أوّل ردة فعل منها هي الرفض والإعراض، ولذلك كانت الحكمة واضحة من نزول القرآن منجما

١- وهذا مما يؤكد مرة بعد مرة أنّ الرسالة المحمدية الخاتمة صالحة لكل ما تمر به البشرية في مراحلها التاريخية اللاحقة وستكون قادرة على حل كل ما يعتري الإنسانية من مشاكل؛ لأنّ الواجب الذي تحملته في الدعوة والإصلاح إلى ما شاء الله، يلزمها بقيادة البشرية إلى برّ الأمان، ومنهج الإسلام لا يطالب فقط بمواكبة العصر بل يدعو لاستشراف المستقبل ومسابقة العصر، تحقيقا للواجب، وتفاعلا مع الأحداث المستجدة.

ومفرقا حسب الحوادث والوقائع والمستجدات؛ كل فترة تمهّد للتي بعدها، وبهذا الترتيب، لتستكشف وتستشرف ما بعدها، فيكون التكليف الحاضر الأول، ممهدا للذي بعده ويهيئ له؛ لتتقبله النفوس وتؤمن به وتقتنع، وهذا واضح كما أخبرت عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أول ما نزل من القرآن سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام: نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا)[1]، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقا: «فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: «ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندعها»، وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف»[2].

وهو ما فعله الرسول ﷺ في مكة أولًا، وفي المدينة ثانيًا، فلقد كان ﷺ يراعي العوامل النفسية لدى المدعوين؛ ويستشرف مستقبل أيامهم ليمهد لهم لتهيئة نفوسهم للقبول بما سيطرأ عليها، ويستجدّ في حياتها من تكليفات وتشريعات، وهو نوع من التدرج واستشراف المستقبل، يقول فيه الدكتور يوسف القرضاوي: «وهذه السنة الإلهية في رعاية التدرج ينبغي أن تتبع في سياسة الناس عندما يراد تطبيق نظام الإسلام في الحياة... فإذا أردنا أن نقيم مجتمعًا إسلاميًا حقيقيًا فلا نتوهم أن ذلك يتحقق بجرة قلم أو بقرار يصدر من ملك أو رئيس، أو مجلس قيادة أو برلمان، إنما يتحقق بالإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية وإيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المحرمة التي قامت عليها مؤسسات عدة لأزمنة طويلة»[3].

وفي استشراف المستقبل ومراعاة المتغيرات وتوقع القادم؛ نوع من تهيئة النفوس البشرية وتغييرها لتقبل ما سيطرأ عليها، وما يستجد في حياتها مما لم

١- أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن برقم (٤٩٩٣)، (٨/ ٦٥٥).
٢- فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٤٨).
٣- في فقه الأولويات، القرضاوي ص (٩٢).

تتعود عليه، ويحتاج ذلك من الداعية إلى الله تعالى إلى جهد كبير ومركّز؛ للتأثير على النفوس وتغييرها تغييرا منطقيا نحو الأصلح؛ لأنه ليس من السهل أن تتخلى النفوس عن كل ما ورثته وألفته بين عشية وضحاها، فكان من ثمرات هذا الاستشراف للمستقبل تهيئتها لقبول الحق، وترك ما كانت تعودت عليه، وهذا يحتاج إلى تدرج بها حتى تتعايش مع المستقبل القادم الذي سيصير في القريب هو (الواقع) يقول العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله: «الله تبارك وتعالى لعظم حكمته في التشريع إذا أراد أن يشرع أمرًا شاقًّا على النفوس كان تشريعه له على سبيل التدرج، لأن إلزامه بغتة في وقت واحد من غير تدرج فيه مشقة عظيمة على الذين كلفوا به»[1]، وباستشراف المستقبل والتخطيط له تتهيأ النفوس لقبول الحق وسماعه والاقتناع به، ولا يكون عنصر المفاجأة الذي قد يؤدي للاستغراب وعدم التقبل.

ثانيا: في استشراف المستقبل تحقيق الكمال والإحكام وترسيخ المبادئ:

الذي يريد تشييد بناء متين، وصرح شاهق، يحتاج إلى خطوات مدروسة ومراحل متأنية، وأساسات متينة يبني عليها بنيانه، وفقه الداعية في استشرافه المستقبل والتخطيط له يمكنّه من غرس المبادئ وترسيخها في النفوس؛ لأنّه يبنيها مرتبةً بداية بالأولى الذي يكون مقدمة وتهيئة للثاني الذي يأتي بعده، وبهذا الفقه والتسلسل خطوة خطوة ولبنة لبنة يشيد الداعية بناء الدعوة المتين، وصرحها المتماسك، وكلّ من يريد الإعداد الجيد والإحكام التام لدعوته يحتاج أن يتعرف على واقعه بدقة، ويستشرف مستقبله بصدق، للمرور عبر بوابه التاريخ بخطوات ومراحل معلومة ومدروسة؛ وعلى ذلك قامت الدعوة الإسلامية الأولى؛ فكانت مستمرة وباقية وثمرتها وآثارها وأتباعها مستمرون إلى قيام الساعة؛ ولو أنه ﷺ أراد أن يقوم بواجب الدعوة وإنشاء الدولة دون تقدير الظروف والمتغيرات

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٥ / ٧٠٠).

والطوارئ، ودون قراءة صحيحة للمستقبل، ولكل ما يحيط به وينتظره، لما بلغت دعوته ما بلغت، ولا استطاع أعداؤها وخصومها المتربصون بها إضعافها، أو القضاء عليها في مهدها، قبل أن تبلغ ما بلغ الليل والنهار، فقبول الحقّ، واستشراف المستقبل للتعرف على كيفية الثبات على الحق هو البصيرة التي تجعل الداعية واثقا من طريقه، وتجعل الدعوة راسخة ومتجذّرة في النفوس فـ: «الإنسان يطلب أولا تحصيل الخير فإذا حصّله يطلب أن يصير ذلك الحاصل ثابتًا باقيًا»[1].

وهذا التريث للوصول للكمال، وتحقيق الإحكام، وترسيخ المبادئ؛ هو نتيجة منطقيّة لقراءة المستقبل واستشرافه، وهو من العزيمة المأمور بها شرعا؛ والمبنية على أصول محكمة، أمّا التسرع والعجلة والسرعة في الخطوات نحو المستقبل، وقطع الليالي والأيام، والفيافي والقفار، دون استشراف لما سيكون فيها، وما يتوقع من أحداث ومتغيرات تطرأ؛ فهو نوع من الاندفاع غير المدروس وغير المحمود فـ: «الخطأ زاد العجول»[2].

وكلّ من يتصدر للناس، وعلى رأس القائمة الدعاة إلى الله تعالى، لا ينبغي لهم السباحة مع التيار ولا الإقدام على الفعل، واقتحام المستقبل دون المعرفة الأكيدة؛ فهذا نوعٌ من التسرع قد يترتب عليه الضرر الكبير لأنّ ذلك من العجلة التي يقول فيها الإمام ابن القيم رحمه الله: «طلب أخذ الشيء قبل وقته فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها كلها؛ فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين، أحدهما: التفريط والإضاعة، والثاني: الاستعجال قبل الوقت، ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها وتجلب عليه أنواعا من الشرور وتمنعه أنواعا من الخير، وهي قرين الندامة، فقلّ من استعجل

١- التفسير الكبير، للفخر الرازي (١٠ / ١٦٨).
٢- ينظر: مجمع الأمثال، للميداني (١ / ٤٣١).

إلا ندم كما أنّ الكسل قرين الفوت والإضاعة»[1].

والتوثق وتمام الفهم ووضوح الرؤية، قبل الإقدام على المستقبل من خلال استشرافه والتخطيط له وتقدير الظروف والطوارئ والمتغيرات هو المطلوب الذي يتحقق به الكمال والإحكام، وتترسخ من خلاله المبادئ، ويعين على السلامة والتوفيق للصواب، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجلّ منهما،بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فُهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقُصودهم وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والهدى والباطل والضلال، والغيّ والرشاد»[2].

ولقد وضّح عبد الله بن عباس ﷺ خطورة المسارعة والاندفاع غير المدروس حتى لو كان في الخير، فلا بد من التريث وقراءة المستقبل ومعرفته وفقهه حيث يقول: «قدم على عمر بن الخطاب ﷺ رجل، فجعل يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقال ابن عباس: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزجرني عمر، وقال: مه، فانطلقت إلى منزلي كئيبًا حزينًا، فبينا أنا كذلك، إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي فخلا بي، وقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفًا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين: متى ما يسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ومتى ما يحتقوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا

١- الروح، لابن القيم ص (٢٥٨).
٢- إعلام الموقعين، لابن القيم (١ / ٨٧).

يقتتلوا، قال لله أبوك، والله إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها»[1]، ففي هذه الحادثة يتبين وبوضوح كيف أدرك الفاروق عمر ﷺ وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ﷺ - الذي دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين - أنّ المسارعة غير المدروسة وبدون قراءة للمستقبل واستشراف له؛ حتى لو كانت في قراءة القرآن الكريم ودراسته، مع أهميته ومكانته التي لا تخفى وخصوصيته على غيره، ومع ذلك قد تُوقع في لخلاف، الذي قد يؤدي للقتال.

ثالثا: حماية الدعوة والداعية ووقايتهم من العثرات والزلات:

الدعوة معرضة للعثرات والزلات، وذلك عندما يتعرض الداعية لها، ولكنّ الله يحميه من ذلك ومن غيره بفقه دعوته واستشراف مستقبلها، والرؤية الواضحة في خطواتها وما ستقبل عليه، ويزيد الدعاة إلى الله حفظا وحماية لهم ولدعوتهم من العثرات والزلات إدراكُهم ما في **استشراف المستقبل والتخطيط له** من المكاسب التي تجنبهم الآثار والعواقب الوخيمة، والخطوات الارتجالية؛ البعيدة عن الحكمة والبصيرة، مما قد يوقعهم فيما لا تحمد عقباه من فشل وندم على ما فات لهم ولدعوتهم، ويقفون متأسفين على ما فعلوا، يقولون: «لو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا لما فعلنا كذا ولتهيأنا بكذا، ولسألنا عن كذا ولقدّرنا فعل كذا...».

ومن أبرز ما يحصل فيه الخطأ والخلل، ويحتاج الدعاة إلى الله إلى الانتباه له تشتيت جهود الدعوة والدعاة عن القضايا المهمة والأصيلة التي سيصل بها ومن خلالها للهدف والمقصود إلى بنيّات الطريق التي تحرفه عن الطريق وتشغله عن السير يقول محمد المبارك: «يتبين خطأ من يصرفون همهم إلى أمرٍ قد يكون في ذاته مطلوبًا أو ممنوعًا في الإسلام، ولكن في مقابلة أمرٍ أخطر منه بكثير، فالبلاد الإسلامية مبتلاة في هذا العصر بخطرين عظيمين هما: الاستعمار والإلحاد؛ فهل

١- أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم (٢٠٣٦٨).

يجوز في مثل هذه الحالة تقسيم المسلمين إلى من يقولون بأن التراويح ثمانية ومن يقولون بأنها عشرون وإلى القائلين بتكرار الجماعة أو عدمها... أنا لا أقول أن لا تبحث هذه الأمور بحثًا علميًا، بل أقول: إنه يجب التنبيه حينما يكون الأمر ماسًا بالعقيدة، ويحسن التنبيه للطريقة الصحيحة في العبادات، أما غير ذلك مما يحدث فتنة أو خصومةً بين المسلمين فيجب تركه لما يترتب عليه من منكرٍ أعظم في تقسيم المسلمين وتفتيت قوتهم ونكتفي عندها بالقضايا الأساسية الكبرى»[1].

واستشراف المستقبل ومعرفته يسهل على الداعية حسن التقدير لعباداته وأعماله التي يقدمها، والأكثر أجرا ونفعا لما يستقبل من الأيام، ويكون أقدر من غيره وأفقه في مواجهة الشيطان ومكايده حتى لا يزين له أمرا أدرك عدم أهميته، أو يشيّنه وقد أدرك أهمية فعله، لأنّ الشيطان يشغله «بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه،وبالمرضي عن الأرضي له، فإن نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله،ومنازلها في الفضل، ومعرفة مقاديرها، والتمييز بين عاليها، وسافلها، ومفضولها وفاضلها»[2].

الفصل الثاني: طرق ووسائل استشراف المستقبل والتخطيط له وحاجة الدعوة والداعية إليها:

الوسائل التي توصل إلى الغايات كثيرة ومتنوعة، وهذه الوسائل المتنوعة لها خصائص وميزات كثيرة من المهم التعرض لها وإبرازها، وذلك للتفريق بين وسائل الداعية المشروعة وغير مشروعة، ومن أبرز هذه الخصائص التي يحسن التمهيد بها قبل التفصيل في وسائل استشراف المستقبل وطرقه: **(شرعيّة هذه الوسائل)** وانضباطها والتزامها بالأحكام الإسلاميّة، وعدم خروجها عن الشريعة الإسلامية، وأن تكون نابعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبذلك تكسب

١- ينظر: الفكر الإسلامي الحديث للأستاذ محمد المبارك ص (٦٥).
٢- ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١ / ٢٢١) .

مصداقيتها وتظهر أهميتها، وتثمر وتجدي في تحقيق المراد، فإن كانت الوسيلة مخالفة لنصوص الشرع وقواعده العامة فلا يشرع التوسل بها إلى المقاصد والغايات، ولن تحقق المقصود يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ليس كلّ سبب نال به الإنسان حاجته يكون مشروعًا ولا مباحًا، وإنما يكون مشروعًا إذا غلبت مصلحته على مفسدته، مما أذن فيه الشرع»[1].

والدعوة هي إلى الله، ووسائلها ينبغي أن تكون على مراد الله، والغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، وفي ذكر هذا تمهيدٌ للوسائل والطرق المشروعة لاستشراف المستقبل[2]، وتنبيهٌ لكل أولئك المعتدون والمفتئتون الذين يحاولون استشراف المستقبل وكشف ستاره بوسائل يحظرها الشرع ويمجها العقل، فتراهم يلهثون وراء الكهان والمنجِّمين، وآخرون يعتقدون في الأبراج السماويّة، ويتلاعب بهم البطالون بالخط والرمل وقراءة الكف ونحو ذلك مما هو محرم ومحظور، مع أنّ الشريعة كشفت لهم صراحة أو ضمنا كثيرا مما يحتاجونه في مستقبل أيامهم، وأرشدتهم إلى وسائل مشروعة لاستشراف المستقبل، بل هيأ الله لهم في يقظتهم ومنامهم ما يساعدهم في ذلك، واستشراف المستقبل وحسن التخطيط له لا يحصّله إلا من أكرمه الله بالبصيرة في الدين، والفقه في أحكام ربّ العالمين، وفتح الله عليه، فليس بالأمر الهين؛ ولذلك ينبغي للداعية إلى الله أن يسير وفق طرق شرعية، ومنهج ربانيّ، وفقه دعويّ، بعيدا عن الهوى والرغبات، والطوارئ والمداخلات ليتمكن وبدقة من تحديد خطواته، ووضع خططه وترتيباته؛ ويأتي هذا الفصل الثاني ليوضّح الوسائل والطرق المقرّرة للوصول لمعرفة المستقبل وقراءته واستشرافه، **وهي كثيرة ولكني**

١- مجموع الفتاوى، ٢٧ / ١٧٧.

٢- ونحن في هذا السياق سنعرض لأبرز الوسائل والطرق في استشراف المستقبل ومعرفته التي يبني عليها الداعية معالم دعوته وخطواتها، مع ملاحظة أنّ هذه الوسائل والأسباب معرفتها للمستقبل ظنيّة لا قطعيّة، ولا يجزم بما كشفته من المستقبل، بل يستأنس بها؛ لجواز تخلّف الأسباب أو الخطأ في استشراف المستقبل؛ وذلك لأنّ "لبعض الغيوب أسبابًا قد يُستَدلّ بها عليها، لكن ليس ذلك حقيقيًّا" فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٣٦٥).

أكتفي في هذه العجالة بستة فقط، هـــي:

المطلب الأول: التنصيص عليها بالوحي بورودها في القرآن والسنة:

وتقع في مقدمة وسائل وطرق معرفة ما قد يحصل في المستقبل واستشرافه؛ فهي الطريقة الأولى والمباشرة؛ أن ينصّ الوحي عليها، حيث جاءت كثيرا من النصوص الشرعيّة كاشفة للمستقبل، ومبينة بوضوح لما سيحصل ويجري فيه من أحداث ومتغيرات، فالنص على ما سيحصل في المستقبل في القرآن أو السنة طريق أصيل ومباشر في معرفته والدلالة عليه، ولذلك كان من المهم لمن يريد معرفة المستقبل واستشرافه العيش مع نصوص القرآن والسنة واستخلاص ما أشارت إليه في هذا المعنى صراحة أو ضمنا، والواجب على الدعاة إلى الله أن ينطلقوا من نصوص الوحي وأن يربطوا تخطيطهم للمستقبل به، وأن ينهلوا من دلالاته؛ لأنّ الوحي؛ هو مصدر الدعوة الأول، والوسيلة الوحيدة التي يوثق بها في قراءة المستقبل، وتوقع ما سيكون، وما سيواجهه الداعية ويتعرض له في مقتبل عمره، وقد نصّت السنة النبويّة على كثير من الأحداث المستقبلية التي ستقع، وكشفت كثيرا من المتغيرات القادمة، وحذّرت بناء على ذلك من فعل أمور، أو رغّبت في فعل أمور أخرى، وسنته ﷺ وسيرته ومنهجه مليئة بالإشارة للمستقبل وبيانه والدلالة عليه صراحة أو ضمنا، وكنوز السنة ودواوينها حافلة بالنصوص الدالة على أنّها الوسيلة الأولى والطريق الأقصر والأوثق لاستشراف المستقبل.

والنبي ﷺ أخبر عن أمور كثير أنّها ستقع، وهذه الأخبار التي تكشف المستقبل، وتبين شيئا من الوقائع والأحداث التي ستقع قبل وقوعها، ويطلق عليها المتخصصون دلائل النبوة[1]، أو أعلام النبوة، فإذا وقعت كانت علامة ودلالة

١- وفي كتاب دلائل النبوة للبيهقي رحمه الله، وغيره من كتب السير كثير من هذه النبوءات، وقد تتبع الباحث محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي هذه النبوءات فجمع منها (١٨٨) نبوءة، منها (٢٨) نبوءة لم تتحقق بعد، ينظر كتابه: (نبوءات الرسول ﷺ ما تحقق منها وما يتحقق).

على نبوته، وهي من الغيب الذي كشفه الله تعالى لرسوله ﷺ، وأذن له في كشفه لنا، لنسترشد ونستهدي بما سيكون قبل أن يقع، ونستعدّ له قبل وقوعه، عونا لنا وتخفيفا علينا.

يقول حسن ضياء الدين عتر: «البشر مهما بلغوا من العلم، ومهما أوتوا من الفطنة والذكاء، يظلون قاصرين عن إدراك المستقبل، واستكشاف مجاهيله، ولا يجرؤ عاقل على استصدار حكم قطعي بشأن المستقبل، إلا على سبيل الظنون والاحتمالات، وقد تكشف الأيام في زمن وجيز عن خطأ هذه الظنون والاحتمالات أو أكثرها»[1]، أمّا إخباره ﷺ بالمستقبل واستشرافه له وكشفه عنه فهو وحي أطلعه الله عليه.

ولذلك كان التنصيص على المستقبل بالوحي بوروده في القرآن والسنة الوسيلة الأولى الموثوقة، والطريق الأسلم والأحكم لاستشراف المستقبل ومعرفته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإخباره ﷺ عن الأمور المستقبلية هو من باب العلم الخارق، كإخباره عن مملكة من أمته، وزوال مملكة فارس والروم، وقتال الترك، وألوف مؤلفة من الأخبار التي أخبر بها مذكورة بعضها في كتب دلائل النبوة، وسيرة الرسول ﷺ وفضائله ﷺ وكتب التفسير والحديث والمغازي، في مصنفات كثيرة جدا»[2].

والنصوص والأحاديث النبوية؛ التي جاءت صريحة ومباشرة في كشف ستار المستقبل واستشرافه وذكر ما سيقع فيه من أحداث ومتغيرات، كثيرة ومتنوعة، ومن أقواله ﷺ في ذلك:

- ما جاء عن حذيفة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك

١- المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر ص (٦٧).
٢- ينظر مجموع الفتاوى ١١ / ٣١٥.

شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»[1].

- ومن ذلك ما جاء عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي». وقال أبو هريرة رضي الله عنه: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها[2]، قال الإمام النووي رحمه الله عند هذا الحديث: «وهذا من أعلام النبوة، فإنّه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته، ووقع كما أخبر ﷺ»[3].
- ومن ذلك ما جاء عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[4].

وأختم هذا المطلب أنّ الوحي المنصوص عليه من النبي ﷺ هو الوسيلة المضمونة والمباشرة في استشراف المستقبل، بل هي الوسيلة الأولى والطريق الواضح والمباشر والأهم لذي لا ينكر «وإنكار العقل لما يخبر به النبي ﷺ عين الجهل، ولا مستند له في إنكاره إلا أنّه لم يبلغه، ولم يصل إليه فيظنّ أنّه غير ثابت في نفسه»[5].

المطلب الثاني: الاجتهاد من أهل العلم والكفاءة والتأهيل:

الاجتهاد ضرورة شرعيّة، وهو من لوازم التشريع التي لا يستغني عنها، ولا يخلو زمان من الأئمة المجتهدين الذين يهدون الأمة ويوجهونها، ويبيِّنون لها حكمَ

١- أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب: "وكان أمر الله قدرا مقدورا" برقم (٦٦٠٤) ٧/ ٢٦٩.
٢- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب" برقم (٢٩٧٧) ٤/ ١٥.
٣- يقول الإمام النووي رحمه الله: وقوله ﷺ: "وأنتم تنتثلونها"، يعني: تستخرجون ما فيها. ينظر: كتابه المنهاج ص ٤٩٨.
٤- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، برقم (٢٩٢٦) ٣/ ٣٠٥.
٥- الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ٩٥٩).

الله تعالى في كل ما يستجد من النوازل، ويبذلون الوُسع والنظر ليواكبوا جميع الأحداث الطارئة في الدعوة إلى الله، وخاصة في استشراف مستقبلها؛ لأنّه ما من مسألةٍ تطرأ وتستجد إلا ولها في كتاب الله تعالى أو في سنَّة رسوله ﷺ أصل تُبنى عليه قد يكون واضحا وقد لا يكون واضحا، ومسؤولية المجتهد هنا هي بذل الوسع للوصول للرابط بين ما يحدث وما هو منصوص عليه، وما يتوقع حدوثه؛ يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلةٌ إلاَّ وفي كتاب الله الدَّليل على سبيل الهدى فيها»[1]، فكلَّ ما يَرِدُ ويستجد من أحوال الدعوة ونوازلها ينبغي للعلماء والدعاة الاجتهاد فيه للوصول للحكم الشرعي المناسب، ولذلك كان من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن يبعث فيها بين الفينة والأخرى من يجدد لها أمر دينها، كما جاء في قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَنْ يجدد لها دينها»[2]، والمقصود بالأئمة المجددين في الحديث أولئك الذين يقومون بواجب الدعوة إلى الله تعالى وتجديدها، وتأصيل قضاياها وخطواتها تأصيلًا شرعيًا وفقَ كتاب الله وسنةِ رسول الله ﷺ رغبة منهم فـي: «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما»[3]، والتجديد يحصل على حين فترة وضعف في الأمة، فيسخّر الله لها من يجمع أمرها، ويحفظ كلمتها، ويعلي العلم والعمل؛ وبذلك لا ينقطع سندها عن الوحي، والتأصيل والمشروعية، وهؤلاء هم ورثة النبوة[4].

وبمثل هؤلاء الأئمة والعلماء المجددين، ومن يسير على دربهم من الفقهاء

١- الرسالة، للإمام للشافعي ص (٢٠).
٢- أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، ينظر عون المعبود (١١ / ٢٣١) وصححه الألباني برقم (٥٩٩) (٢ / ١٥٠).
٣- ينظر عون المعبود (١١ / ٢٣١).
٤- قال الإمام ابن حجر عند حديث النبي ﷺ "العلماء ورثة الأنبياء": "هم أهل العلم، ووجود هؤلاء العلماء في عصور عدم الاضطرار إليهم منّة من الله تعالى على الأمة لتحسين حالها، ووجودهم في حالة اضطرار الأمة عصمة من الله، ولطف بها، لإنقاذها من التهلكة، ومساعدةً لها على حمل الرسالة الخاتمة". ينظر: فتح الباري (١٣ / ٢٦٠).

والدعاة الموثوقين؛ ونظرهم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكمال فقههم وسعة ثقافتهم[1] يُستشرف المستقبل، ويحصل الاجتهاد في ما سيطرأ وما سيقع من أحداث، حيث وجد من تشدد في مسألة الاجتهاد؛ ووضعوا للمجتهد شروطا تعجيزية حتى أغلقوه مطلقا، ومنهم من توسع فيه وجعله بابا مفتوحا على مصراعيه يدخله كلّ أحد، والخلاصة أنَّه أمر ضروريّ، وباب مفتوح بحقه لمن اختارهم الله وجعلهم أهلا لذلك «فالاجتهاد ليس مفتوحا لكلّ أحد، وليس مغلقا إلى الا بد؛ وهو ماضٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لكن ليس لأيّ أحد، ولكن لمن كان مؤهلا، وتوافرت فيه الشروط اللازمة»[2]، **وهو هنا بنوعيه الفرديّ والجماعي وسيلة لاستشراف المستقبل**.

ويدخل في ذلك الاجتهاد من أهل العلم (**التشاور والتباحث وعقد اللقاءات والندوات والمؤتمرات**) في استشراف المستقبل[3]، وتوقع ما سيكون من أحداث ومتغيرات، تحتاج الدعوة والدعاة إلى معرفتها والاستعداد لها، والتهيؤ، بل والتدرب على التعامل معها؛ أما الاجتهادات الفردية في قضايا الدعوة المصيرية والنوازل المعقدة فضررها أكثر من نفعها، وهي خلاف هدي النبي ﷺ في أخذ آراء أصحابه واستشارتهم المتكررة؛ ومن ذلك جمعهم على ما يفعلُه في أسرى بدر[4]، يقول الإمام البخاري رحمه الله تعالى: «كانت الأئمَّةُ بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناءَ في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها»[5].

١- الثقافة الواسعة والمتنوعة في مختلف المجالات العلمية والعملية الدينية منها والدنيوية، وتنويع مصادر الداعية ومعارفه؛ باب واسع يعزّز قدرته واجتهاده في استشراف المستقبل بدقة، وهو من الوسائل والطرق التي يطول الحديث عنها، وأصل العلوم كلها الوحي (القرآن والسنة).

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٢ / ٥٣٠).

٣- وما هذه الندوة المباركة وبحوثها وباحثيها ومحاورها إلا نوع من هذا الاجتهاد الجماعي الذي نحن بحاجة ماسة إليه في هذا الموضوع وغيره، ولعلّ من دوافع القائمين على هذه الندوة وهذه الكلية المباركة، تحقيق ذلك فلهم الشكر والتقدير.

٤- ينظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣ / ٣٤٥).

٥- أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: "وشَاوِرْهم فِي الأَمْر"، معلقا في باب (٢٨) (١٣ / ٣٥١).

وعليه فمن الطرق المهمة لمعرفة المستقبل واستشرافه الاجتهاد سواء فيما كان فيه نص، أم فيما لم يكن فيه نص أصلا،وهذا (**الاجتهاد الجماعي**)[1] للوصول إلى معرفة بعض الحوادث والمتغيرات المستقبليّة؛ هو الذي ينبغي السعي إليه وتبنيه فهو أدق وأصوب، وقد أشار مجمع الفقه الإسلامي إلى ضرورته وأنّه الأصل، حيث جاء في قراراته ما نصّه: «أن يكون الاجتهادُ جماعيًّا بصدوره عن مجمع فقهيٍّ يمثّل فيه علماءُ العالم الإسلامي، وأنَّ الاجتهاد الجماعي هو ما كان عليه الأمر في عصور الخلفاء الرَّاشدين، فقد كانت تردُ عليهم المسائلُ وهم خير قرن فكانوا يجمعون أهل الحلِّ والعقد من الصَّحابة، ويتباحثون ثمَّ يفتون»[2].

المطلب الثالث: مراعاة سنن الله الكونية واعتبارها:

الكون كلّه قائم بأمر الله تعالى وفق نظام وترتيب دقيق؛ ليحصل الثبات والاستمرار في هذه الحياة فكل شيء بقدر،كما قال الله تعالى:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ (يس: ٣٨)، والسنن التي تحكم الكون والمخلوقات واحدة وثابتة ومقدّرة، وفق نظام دقيق ومنضبط، ومنهج رباني مرسوم، وإذا انفرط هذا الانضباط واختلطت الأمور، وتشابكت المسائل اختلت الموازين، وفسد الكون، ولم يكن للوجود معنى، والدعوة الإسلامية التي هي دين الله تعالى للناس أجمعين، تقوم على هذا النظام وعلى هذا الترتيب والتناسق، ولذلك فلا بد أن تكون خطوات الداعية مدروسة ومحكمة، وأن يضع كل شيء في موضعه، ولا يستعجل الشيء قبل

١- فالاجتهاد الجماعي؛ أنفع من الاجتهاد الفردي، ومقدم عليه؛ ونتيجته أضمن من الجماعي، والثقة به أوسع، ونتائجه أضمن، لأنّ الثقة بالمجموع وقدرتهم للوصول إلى الصواب أولى، ولذلك كان هو الأولى في استشراف المستقبل والتعرف عليه، واستكشاف ما يتوقع حدوثه، وإدراك مآلات الأمور؛ خاصة في عصر العولمة والانفتاح؛ الذي كثرت فيه المتغيرات وتنوعت الثقافات، فتحتاج المسائل إلى تروّ أكثر، ودراسة أعمق أما الاجتهاد الفردي فيغلب على صاحبه التسرع في الغالب؛ والنزعة الفرديّة، مع تشويش الهوى وحظوظ النفس عليه.

٢- ينظر مقررات المجمع الفقهي التَّابع لرابطة العالم الإسلامي في جلسته المنعقدة في مكة المكرمة، في ربيع الآخر سنة ١٤٠٥هـ من دورته الأولى.

أوانه «فقد يكون الداعية قادرا على الشروع في الدعوة واقتحام بعض صعابها، ولكن الدعوة تحتاج إلى استمرارية وثبات لتؤثر في الأمة، فقليل دائم خير من كثير منقطع لاسيما في الدعوة»[1]، فمعرفة أين يضع قدمه؟ وما هي خطواته القادمة؟ وكيف يحدد أولوياته التي تعينه على القيام بواجب الدعوة، وتمكنه من عمارة الأرض هو المطلوب.

وقد أودع الله سبحانه وتعالى في هذا الكون سننًا ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فينبغي للداعية إلى الله أن لا يتجاهلها، بل يقف عندها ويتدبرها، فإنّ من وراء ذلك مقاصد وحكم كثيرة على الداعية أن يتأملها ويقف عندها، فالسنن التي تحكم الكون والمخلوقات واحدة، ولذلك لزم الداعية إلى الله دراسة هذه السنن الكونية، ومحاولة إدراك حكمها؛ لتتبين له الحقائق والمعالم التي تكشف الطريق وتُعين على الصواب في دعوته ومع مدعويه؛ وخاصة السنن الكونية المتعلقة بالأمم والأفراد ممن يقصدهم الداعية بدعوته، فـ «لم يُقَصِّر المُصنفون من المتقدمين والمتأخرين في شيء من علم الكتاب والسنة كما قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن والحديث من سنن الله تعالى في الأمم، والجمع بين النصوص التي وردت في ذلك، والحث على الاعتبار بها، ولو عُنُوا بذلك بعض عنايتهم بفروع الأحكام، وقواعد الكلام، لأفادوا الأمة بما يحفظ دينها ودنياها، وهو ما لا يغني فيه التوسع في دقائق مسائل النجاسة، والطهارة والسَّلم والإجارة، فإن العلم بسنن الله تعالى في عباده لا يعلوه إلاّ العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، بل هو منه، أو من طُرقه ووسائله»[2].

١- العلاقة بين الفقه والدعوة، مفيد خالد عيد ص (١٦٧).

٢- من أقوال الشيخ محمد رشيد رضا، نقلا عن "سر تأخر العرب والمسلمين" للشيخ محمد الغزالي ص (١٠).

وهذه السنن الكونية على ضربين، مادي واجتماعي[1]، والذي يهمنا في هذا الموضوع هو الجانب الاجتماعي في سنن الله وقوانينه الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨)، وإذا تقرّر عدم تبدلها، جاءت إمكانية الاستفادة منها في استشراف المستقبل وماذا سيكون بناء على سنة الله الكونية الاجتماعية التي لا تتغير ولا تتبدل «والله يقول الحق؛ ويعلم ماذا كان ولماذا كان، ويقص على عبيده – رحمة منه وفضلا – جانبا من أسرار سنته وقدره؛ ليأخذوا حذرهم ويتعظوا؛ وليدركوا كذلك ما وراء الواقع التاريخي من عوامل كامنة وأسباب ظاهرة؛ يفسرون بها هذا الواقع التاريخي تفسيرا كاملا صحيحا، ومن وراء هذه المعرفة يمكن أن يتوقعوا ما سيكون استنادا إلى سنة الله التي لا تتبدل، هذه السنة التي يكشف الله لهم عنها»[2]، والمقصود هنا الإشارة إلا أنّ هذه السنن ومعرفتها وسيلة مهمة ومباشرة في استكشاف المستقبل واستشرافه، لأنّ كثيرا مما سيقدره الله هو من سننه التي كشف عنها من خلال نصوص الوحي، وبعض السنن أخصّ من بعض في الدلالة على المستقبل واستشرافه، وسنكتفي في هذه العجالة بالتعريج على سنتين كونيتين تكشف لنا المستقبل، وتعرفنا بما قد سيقع فيه وهي:

١- يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ص٧ (بتصرف):
– الأول الجانب المادي: وتخضع له كل الكائنات في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية، ويخضع له كيان الإنسان المادي وما يطرأ عليه مثل نموه وحركة أعضائه ومرضه وهرمه ولوازم بقائه حيا ونحو ذلك. وهذا الوجه لا يختلف في وجوده أهل العلم بهذه الأمور المادية ولا يختلفون في خضوع الكون له. وقد دل عليه القرآن وأكد عليه ولفت الأنظار إليه ليدل على ربوبية الله تعالى وتنمية الإيمان بالله واليوم الآخر.
– الثاني الجانب الاجتماعي: الذي يتعلق بخضوع البشر له باعتبارهم أفرادا وأمما وجماعات، تخضع لهذا القانون تصرفات البشر وسلوكهم في الحياة وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية أو ضيق العيش، والسعادة والشقاء، والعز والذل، والرقي والتأخر، والقوة والضعف، ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا وما يصيبهم في الآخرة من عذاب أو نعيم ، [وهذا هو الذي يعنينا في بحثنا الآن].

٢- في ظلال القرآن (٢ / ١٠٨٩).

أولا: سنة الابتلاء: فالابتلاء هو مقصد من مقاصد الحياة والتكليف، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، وعلى هذا المبدأ يكون نظام الحياة، فكل إنسان سيتعرض للبلاء حتى يتميز الناس وتظهر معادنهم، كما تقرر ذلك في الأحاديث النبوية: «**أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه**»[١]، **وقوله** ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له**»[٢].

وتندرج تحت سنة الابتلاء بعض السنن المتفرعة منه على النحو الآتي:

(أ) **سنة التداول**: يعني أن الله تبارك وتعالى يداول أحوال الناس من شدة إلى رخاء، أو من رخاء إلى شدة، ومن نصر إلى هزيمة، أو العكس، من يسر إلى عسر، ومن عسر إلى يسر وهكذا، حتى يظهر مواقف الناس ويكشف بواطن ما في صدورهم، وإن كانت العاقبة للمتقين بلا شك، ويظهر ذلك بشكل واضح في الحاجة الماسة للعلماء الربانيين المجددين كما جاء صريحا عن النبي ﷺ في قوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَنْ يجدد لها دينها»[٣]، والمقصود بالأئمة المجددين في الحديث من يدول الأمر لهم بعد ضعف فيقومون بواجب الدعوة إلى الله رغبة منهم في «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما»[٤]، والتجديد يحصل على حين ضعف في الأمة، فيسخّر الله لها من يجمع أمرها، ويحفظ كلمتها ويعلي العلم والعمل، ويعيد الراية بيدها، والقيادة والريادة لها.

١- أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، حديث رقم (٨٤٤٠).
٢- أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، حديث برقم (٢٩٩٩).
٣- أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، ينظر عون المعبود (١١ / ٢٣١)، وصححه الألباني برقم (٥٩٩) (٢ / ١٥٠).
٤- ينظر: فيض القدير، محمد عبد الرؤوف المناوي (٢ / ٣٥٧).

(ب) **سنة التدافع بين الحق والباطل**: فإن الله أراد لهذه الحياة الدنيا أن تكون مسرحا للصراع والتدافع بين أهل الحق والباطل، لأن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر وطرده ودفعه وإزالته، فلن يعيش الحق والباطل في سلم، بل الصراع بينهما محتدم ومستمر والغلبة في نهاية المطاف للحق وأهله مؤكدا.

(ج) **سنة الاستدراج للظالمين والعصاة**: ومعنى هذه السنة أن الله تعالى أمهل بعض الظالمين والعاصين مدة من الزمن ثم يأخذهم بغتة وفجأة دون سابق إنذار، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. قال: ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1]، وهذا الاستدراج يكون وجها آخر لابتلاء الكفار والظالمين؛ إذْ إنّ من سنة الله عز وجل أن يُبتلي الكفار والظالمين بالبأساء والضراء رجاء أن يتوبوا إلى الله ويتضرعوا له، فلما لم تجد هذه الابتلاءات نفعا لزجرهم وتنبيههم استدرجهم الله بالنعماء حتى يظنوا أنهم على خير، وأن المستقبل مضمون لهم، فيزدادوا إثما وطغيانا، ثم يفاجئهم العذاب البئيس بما كانوا يعملون.

ثانيا: سنة التدرج: فلقد خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض في ستة أيام، مع أنّ أمره جلّ وعلا بين الكاف والنون، وجعل خلق الإنسان والحيوان متدرجا، عبر مراحل تصل به إلى الكمال والتمام، وإلى الأجل المسمى الذي قدّره، فلا ينبغي للداعية أن يستعجل خطوة قبل أن يحين وقتها ويبلغ أجلها؛ **فالزرع مثلا**: إذا حُصد قبل أوانه، واستعجل المزارع عليه فسد ولم يُنتفع به، وإذا كان ظاهره صالحا فإنّ في باطنه الهلاك والتخمة؛ لأنّه لم يستو على سوقه، فباستحضار هذه السنة وتناغم الداعية معها يتدرج بدعوته كما تتدرج الأحداث أمامه؛ فلا يستعجل بها، ويسير بها عبر مراحل وخطوات مدروسة يراعي في كلّ

١- أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٣).

مرحلة منها أن لا يتجاوز التي قبلها، ويقدر لكل خطوة قدرها حتى يصل للخطوة التي بعدها، وبذلك ينال مبتغاه ويصل إلى نهاية الطريق، وكلما كان العمل عظيمًا كانت ثمرته بطيئة وخطواته ومراحله شاقة، ولكنّه سيقوم بنيانه صلبا ومحكما، وتبليغ دين الله والدعوة إليه وخاصة في هذا العصر يحتاج الداعية فيه إلى وقت طويل يتدرج فيه ومعه لتحقيق الهدف وقطع الطريق، بحسن تماشيه مع الحاضر، واستشرافه للمستقبل[1].

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تؤكد على مكانة سنة التدرج وأهميتها كمنهج عام قام عليه التشريع فتقول: «إنما نزل أول ما نزل من القرآن سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر قالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لاتزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا»[2]، لأنّ كل مرحلة تكشف التي بعدها، وتمهد لها، ليستشرف الداعية الخطوة اللاحقة التي يقدم عليها، وفي السنة النبوية المطهرة؛ جاء التدرج واضحا جدا عند استخدام جبريل عليه السلام له عند سؤالاته المشهورة في أركان الإيمان والإسلام والإحسان وغيرها من مهمات الدين وأصوله في الحديث المشهور[3] حيث تظهر تلك الدقة المتناهية في ترتيب الأسئلة من السائل إلى المسؤول والتدرج فيها، والبداية بالأهم ثم المهم ترتيبا علميا منطقيا من الكل إلى الجزء، ومن الأصل والأساس إلى ما يكملهما ويحليهما، ومن السهل الميسور العام وهو الإسلام؛ إلى الدقيق العزيز الخاص وهو الإحسان وهكذا.

١- يقول الدكتور القرضاوي: "ولا نعني بالتدرج هنا مجرد التسويف وتأجيل التنفيذ واتخاذ كلمة التدرج "تكأة" بل نعني بها تعيين الهدف، ووضع الخطة، وتحديد المراحل، بوعي وصدق، بحيث تسلم كل مرحلة إلى ما بعدها بالتخطيط والتنظيم والتصميم، حتى تصل المسيرة إلى المرحلة المنشودة والأخيرة التي فيها قيام الإسلام، كل الإسلام". ينظر: فقه الأولويات ص (٩٢).

٢- سبق تخريجه.

٣- أخرجه مسلم في أول كتاب الإيمان في باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، برقم (٨) (١ / ٣٦).

ومنهج النبي ﷺ وسيرته أصل من أصول التأصيل الواضح الذي يتضح فيه هذا المعلم جليا وغيره، فربط الأجيال بها، وعناية الدعاة والمصلحين بها لازم[1] ولذلك كان من المهم تَتَبُّع هذا المنهج للوقوف على ما يؤصل الدعوة ويعيد للمسلمين السيادة والريادة؛ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ ولأنّ «دراسة الهدي النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، يساعد العلماء والقادة والفقهاء والحكام على معرفة الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين، من خلال معرفة عوامل النهوض، وأسباب السقوط، ويتعرفون على فقه النبي ﷺ في تربية الأفراد وبناء الجماعة المسلمة، وإحياء المجتمع، وإقامة الدولة، فيرى المسلم حركةَ النبي ﷺ في الدعوة، والمراحل التي مر بها وقدرته على مواجهة أساليب المشركين في محاربة الدعوة، وتخطيطه الدقيق في الهجرة إلى الحبشة، ومحاولته إقناع أهل الطائف بالدعوة، وعرضه لها على القبائل في المواسم، وتدرُّجه في دعوة الأنصار ثم هجرته المباركة إلى المدينة»[2]. فمنهج النبي ﷺ وسنته المطهرة وسيرته العطرة مليئة بـ**(معلم التدرج)**:

١- **فمراحل دعوته ﷺ وخطواتها**: دلالاتها واضحة على التدرج؛ حيث بدأ دعوته ﷺ بالمرحلة السرية، ثم بمرحلة الدعوة الجهرية، ثم مرحلة الهجرة والمفاصلة بعد ذلك.

٢- **وأفراد دعوة النبي ﷺ وأتباعها**: تدرج معهم وبهم فبدأ بدعوة نفسه ﷺ والبدء بها، ثم دعوة أهل بيته، ثم دعوة الأقربين، ثم دعوة قومه من أهل مكة على غيرهم، وهكذا.

١- ولهذا قال علي بن الحسن بن أبي طالب رحمه الله: "كنا نُعلَّم مغازي النبي ﷺ كما نُعلَّم السورة من القرآن". ويقول الإمام الزهري رحمه الله تعالى: "علم المغازي علم الآخرة والدنيا"، وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله تعالى: "كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ يعدها علينا ويقول هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها". ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ٢٥٦) وما بعدها.

٢- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي ص (٣).

٣- **وتشريعات دعوته ﷺ وتكاليفها**: دلالاتها واضحة على منهجية التدرج ومراعاتها؛ فالبداية بالصلاة وتقديم تشريعها، ثم بالزكاة، ثم الدعوة إلى المكارم الأخلاق وهكذا الأهم فالمهم.

٤- **ووسائل دعوة النبي ﷺ وأساليبها**: دلالاتها على مراعاة التدرج ظاهرة؛ فمرحلة الظهور والتعريف (المرحلة المكيّة) كانت الدعوة فيها بالقول والبيان،ومرحلة الانطلاق والتأسيس (المرحلة المدنيّة الأولى) كانت الأولويّة فيها للجهاد والسنان، ومرحلة الاستقرار والانتشار (المرحلة المدنيّة الثانية) كانت الكتب والرسل والرسائل والبعوث، فهو ﷺ يستخدم ما يريد منها مراعيا مناسبته للظرف الزماني والمكاني الذي يحيط به، فقدّم الأساليب والوسائل وتدرج فيها؛ لأنّ لكل مرحلة ما يناسبها من الوسائل والأساليب.

المطلب الرابع: التجربة والخبرة الدعوية الطويلة:

التجربة هي: اختيار عمل لمعرفة نتائجه وإدراك ثمراته، والرجل المجرب هو الذي يعرف الأمور ونتائجها بالاختبار[١]، وصاحب الخبرة يدرك الأمور، ويعلم بخبرته ماذا سيحدث، وماذا يمكن أن يكون، وما هو الأمر الذي سيترتب على هذا الواقع في مستقبل الأيام[٢]، ومما يدل على مكانة التجربة وقيمتها لمعرفة المستقبل واستشرافه ما جاء في السنة النبويّة من حوار موسى عليه السلام مع نبينا ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في شأن الصلاة أنه جرّب قومه في الصلاة فلم يقدروا عليها وقصّروا فيها فكانت نصيحة الخبير المجرب لنبينا ﷺ أنّ هذا العدد من الصلوات في اليوم لن يقدروا عليه، وأن يسأل ربه التخفيف: «إنّ أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جرّبت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ

١- ينظر: المعجم الوسيط (جرب) (١ / ١١٤)، والمصباح المنير، (جرب)، ص (٣٧).

٢- وهذا واضح في أمور الدنيا وهو في أمور الدعوة من باب أولى، فالطبيب المتمرس صاحب الخبرة الطويلة والتجربة هو طبيب مؤهل وقادر على علاج مرضاه؛ لأنّ يستشرف مستقبل حالتهم، يعلم بالخبرة ما سيحصل لهم، وما قد يحصل في مقتبل الأيام، وكيف تتطور حالته المرضيّة.

المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك...»[1]، فالعاقل من يردّ الأمر إلى أهل الخبرة والتجربة، وغيره يذيع الأمر ولا يرده، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٨٣)، فعلى الداعية أن يحصّل هذه الخبرة **بالتواصل مع العلماء والدعاة وأهل السابقة والخبرة**، والحرص على الاستفادة منهم ومن جهودهم؛ لينال ثقتهم، لأن ثقته بنفسه وخبرته لا تكفي بل لا بد من توثيق غيره له من أهل العلم والدعوة المعروفين بسلامة المنهج، ولذلك كان السلف الصالح لا يتصدر الواحد منهم إلا بعد الشهادة والإذن له؛ يقول الإمام مالك رحمه الله: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك»[2]، **كما أنّه يستطيع تحصيل هذه الخبرة الدعويّة بالممارسة الدعوية الميدانية**، والتواصل المستمر والاحتكاك مع المدعوين وتلمس احتياجاتهم ومعرفة طبيعة معاناتهم، فالداعية الفقيه الذي يرغب التبصّر في استشراف مستقبل دعوته ومدعويه ينبغي أن لا ينفصل عن محيطهم، وألا يزهد في الاحتكاك بهم للوقوف على حقيقة حالهم؛ وذلك من خلال النزول إلى ميادين الدعوة، وعدم اكتفائه بالوقوف على أبراج الوعظ والتوجيه، وتحرير المسائل؛ بل لا بد من العيش بينهم **ليستشرف لهم المستقبل ويخطط له**.

والسؤال والرجوع لأهل العلم والخبرة مما يعين الداعية على تعزيز هذه الخبرة والتجربة وتحصيلهما مما يؤكد على حسن تواصله مع أهل العلم والدعوة، ومع المدعوين والناس؛ فالسؤال هو أداة العلم والمعرفة وانتقال الخبرة، ووسيلته الأولى والمباشرة والمفيدة؛ وعدم السؤال وسكوت الإنسان قد يكلفه تجارب فاشلة وآلام ومتاعب هو في غنىً عنها، فـ«العلم خزائن تفتحها المسألة»[3]، وسئل

١- أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، برقم (٣٦٧٤)، (٣/ ١٤١٠).

٢- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (٢/ ٣٢٥).

٣- أخرجه الدارمي في مقدمة سننه برقم (٥٤٨).

عبد الله بن عباس ﷺ: «بم أدركت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول»[1].
والسؤال هو المفتاح الحقيقي للخبرات والتجارب، وهو الطريق الأقصر لرفع الجهل، وإزالة الحيرة والتردد للوصول إلى المطلوب، فأهل الفضل والمكانة أيّا كانوا لا يستغنون عن سؤال أهل الخبرة والسابقة، وهذا لا ينقص من قيمتهم، لأنّ الرجوع للخبير؛ مما يحتاجه الصغير والجاهل، والكبير والعالم؛ هو علامة نضج وعلم وتواضع وكما قيل: «أربعة لا يأنف الشريف منهنّ وإن كان أميرًا: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم يتعلم منه، والسؤال عما لا يعلم، وخدمته للضيف»[2].

والداعية بالأخص عليه أن يهتم بهذا في دعوته ويربي مدعويه عليه؛ حتى لا توسد الأمور إلى غير أهلها ويصدّر للناس من لا يستحق، وحتى تظل الأمة متماسكة يقودها أهل العلم ويُرجع إليهم في كل صغيرة وكبيرة، يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «إذا تعين عليه السؤال فحقّ عليه أن لا يسأل إلا من هو من أهل ذلك المعنى الذي يسأل عنه»[3]، ويتأكد هذا الأمر بل يتوجب في الأمور الشرعية والدعوية الدقيقة كالمسألة التي نحن بصددها؛ استشراف المستقبل ومعرفته والسؤال عما سيقع فيه لاحقا.

والرجوع لأهل العلم وسؤالهم طريق مهم وضروري لمعرفة المستقبل واستشرافه، والسؤال والاستفهام عن كلّ ما يجهله الإنسان باب مهم من أبواب المعرفة والأمان للإنسان عموما والداعية خصوصا؛ حيث يتعرض يوميا إن لم يكن كل ساعة إلى كثير من المواقف والحالات التي يحتاج أن يسأل فيها ويرجع إلى من يصدر عنهم ويؤخذ منهم؛ ليعرف ما الخطوة المناسبة التي يلزمه الإقدام عليها

١- ينظر: تعليم المتعلم للزرنوجي ص (١٠٦).
٢- ينظر: آداب المتعلمين للدكتور أحمد الباتلي ص (١١٩).
٣- نقلا عن الإمام الشاطبي رحمه الله، وينظر: الموافقات للشاطبي (٤/ ٢٦٢).

في المستقبل معهم[1]؟

المطلب الخامس: الرؤيا الصادقة الصالحة[2]:

والرؤيا جمع مفرده رؤية، وهي كل ما يرى في المنام[3]، وتأويل الرؤيا علم من علوم الأنبياء وأهل الإيمان «وحسبك بما أخبر الله من ذلك عن يوسف – عليه السلام – وما جاء في الآثار الصِّحاح عن النبي ﷺ وأجمع أئمَّة الهُدى من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم مِن علماء المسلمين؛ أهل السنة والجماعة على الإيمان بها وعلى أنَّها حكمة بالغة، ونعمة يمنُّ الله بها على مَن يشاء، وهي المبشِّرات الباقية بعد النبي ﷺ»[4].

ومن دلالات أهمية الرؤيا الصالحة ومكانتها أنَّها أول هذا الدِّين وآخره[5]، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ويكفي الاعتبار بفرْع واحد من فروعه،وهو عبارة الرؤيا، فإنَّ العبد إذا نفذ فيها،وكمل اطلاعه جاء بالعجائب، وقد شاهدْنا نحن وغيرنا من ذلك أمورًا عجيبة، يحكم فيها المعبِّر بأحكام متلازمة صادقة، سريعة وبطيئة، ويقول سامعها: هذه علم غيب، وإنما هي معرفة ما غاب عن غيره بأسباب انفرد هو بعلمها، وخفيت على غيره. بخلاف علم الرؤيا، فإنَّه حق لا

١- ولقد جاءت أحاديث نبوية كثيرة بطريقة السؤال في عرض أهم القضايا التي تهم الإنسان وتشمل جميع حياته، وتكشف له حقيقة الواقع الذي يعيش فيه، والمستقبل الذي ينتظره، ولقد توسع في أهمية السؤال للدعوة والداعية الباحث في رسالته للماجستير، التي جاءت بعنوان: (فقه السؤال والجواب وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى دراسة تأصيلية في ضوء النصوص الشرعية).

٢- الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (حلم) (١٢ / ١٤٥).

٣- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، (رأى)، ص ٣٧٥، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، (رأى)، ص ١٦٥٨.

٤- التمهيد لابن عبد البر (٢٤ / ٢٩).

٥- فإنّ أول ما بُدئ به كما جاء في الحديث المتفق عليه عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "الرؤيا الصادقة" كما أنّها آخر الدين، كما جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه: "إذا اقترب الزمان لم تكدْ تكذبَ رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزءٌ من ستَّة وأربعين جزءًا من النبوة، وما كان من النبوَّة فإنَّه لا يكذب". ينظر: صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، حديث رقم (٢٢٦٣) (٤ / ١٤١٥).

باطل؛ لأنَّ الرؤيا مستندة إلى الوحي المنامي، وهي جزء من أجزاء النبوة، ولهذا كلما كان الرائي أصدقَ وأبرَّ وأعلم كان تعبيره أصحَّ، بخلاف الكاهن والمنجِّم وأضرابهما ممن هم مدد من إخوانهم الشياطين، فإنَّ صناعتهم لا تصحُّ من صادق ولا بار، ولا متعبِّد بالشريعة»[1].

فالرؤيا فيها من المنافع الكثير ومن ذلك أنّها وسيلة مباشرة في استشراف المستقبل واستكشافه والتعرف عليه، وهي من إكرام الله لعبيده؛ لأنّها «قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسرّ رائيها، وإنما يريها الله تعالى للمؤمن رفقا به ورحمة ليستعدّ لنزول البلاء قبل وقوعه»[2]، يقول في أبجد العلوم: «ومنفعتُه البشرى بما يرِدُ على الإنسان من خير، والإنذار بما يتوقَّعه من شرّ، والاطلاع على الحوادث في العالَم قبل وقوعها»[3].

فالنبي ﷺ رغم علاقته المباشرة بالسماء، ونزول الوحي عليه صباح مساء، وهي طرق ووسائل مباشرة وموثوقة في استشراف المستقبل؛ إلا أنّه كان بعد صلاة الفجر يلتفت إلى الصحابة فيسألهم: من منكم رأى رؤيا البارحة؟ وكان في أوقات الحرج يسألهم: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ لأنّ الرؤيا الصالحة هي أحد الوسائل والنوافذ إلى قراءة المستقبل، وهي وسيلة مهمة يستأنس بها في ذلك ولا يعتمد عليها، وقد جاءت النصوص بأن الرؤيا جزء من النبوة وأنها ما تبقى من مبشرات النبوة التي أراد الله بها أن يعرف عباده ما يقع لهم في المستقبل وما يحل ببلدانهم من أحوال قال ﷺ: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»[4]، ووصفت الرؤيا بهذا «لما كان فيها من الإنباء

١- ينظر: زاد المعاد في هَدْي خير العباد، لابن القيم (٥ / ٧٨٩).
٢- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩ / ٨٥).
٣- أبجد العلوم، لصديق بن حسن القنوجي (١ / ١٤١).
٤- أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، برقم (٧٠١٧) (٨ / ٩٨).

بما يكون في المستقبل على وجه يصحُّ، ويكون من عند الله عز وجل»[1]، ويكفي للتنبيه على أهميتها وتأكيد صلتها بالوحي وكونها ما تبقى من مبشرات النبوة أنّ النبي ﷺكشف الستارة ورأسه معصوب في مرضه الذي انتقل بعده إلى الرفيق الأعلى - بأبي هو وأمي - والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»[2].

والرؤيا الصادقة هي إطلاع الإنسان على القضاء قبل أن يتحقّق فيصبح قدرًا، وجاءت سورة يوسف حاملة مجموعة من الرؤى التي كشفت المستقبل للنبي يوسف عليه السلام، وكشفت عن غيب مستقبلي يكون بعد سنين طويلة، وقد أدّى هذا الكشف إلى ما سيحدث للابن في المستقبل، مما أثّر على أبيه في طريقة تعامله معه والشفقة عليه، وظهر ذلك منه، مما أدّى إلى تآمر إخوته عليه، فكان ذلك كله مقدّمة لسلسلة من الأحداث؛ انتهت إلى تحقق الرؤيا وحصول ما كان يتوقع من الملك والتمكين، وكشف عليه السلام لصاحبي السجن في تعبير رؤاهم ما سيقدمون عليه في المستقبل بعد خروجهم من السجن، وجاء في تعبيره لرؤيا الملك المتكررة عليه والمتواترة[3] وضع تصور لخطة مستقبلية ناضجة، وتخطيط محكم للتعامل مع المستقبل.

١- المنتقى شرح الموطأ، للباجي (٧/ ٢٧٦).

٢- أخرجه مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه، قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث أنّ معناه أنه يقول ﷺ: "أنّ الوحي ينقطع بموتي ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا". ينظر: فتح الباري (١٤/ ٤٠٣).

٣- عندما تكررت رؤيا الملك كما هو واضح في سياق [إنّي أرى] يأتي تعبيرها واضحا ليكشف عن واقع سيكون، يحصل باستشرافه ومعرفته خير كثير، ودفع لضرر كبير، وعندما تتواتر الرؤى على هذا النحو فإنها لا تكذب فقد قال ﷺ: "إذا تواترت رؤى المؤمن فإنها لا تكذب". ومن ذلك ما جاء في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر: "أنّ رجالًا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر".

وتتأكد الاستفادة[1] من هذه الوسيلة في آخر الزمان؛ أي في عصورنا اليوم حيث تكثر المرائي، كما قال ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا»[2]، ويتأكد مع ذلك معرفة الأحكام الشرعيّة المتعلقة بالرؤيا، وضوابط تعبيرها، والشخص المؤهل للتصدر لها[3].

فبعد انقطاع الوحي؛ الذي هو الوسيلة الأولى والمصدر الموثوق لكشف المستقبل، والإخبار به، وذهاب النبي ﷺ لم يبق لنا من المبشرات والنبوة إلا الرؤيا الصالحة، يسترشد بها، ويستهدي بهديها، ويستشرف بها المستقبل، كما قال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات؟ قال الرؤيا الصالحة»[4].

وعليه يجب على الداعية أن يتحرى في الرؤى وفي تعبيرها، ويقصد الخبير الصادق في ذلك، حتى يستفيد من هذه الوسيلة في استشراف المستقبل؛ لأنّها من أهم وأظهر الوسائل وأقربها من النصوص الشرعية بشرط أن تكون رؤيا صادقة صالحة لا أضغاث أحلام، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «أَطْبَق أهلُ المِلل على أنَّ معبِّر الرؤيا يخبر عن أمور مستقبلة، ويكون صادقًا فيها»[5]، كما أنّ عليه أن يهيأ نفسه أن تكون رؤاه صادقة، حرصا على استشراف مستقبله ومستقبل دعوته؛ يقول الإمام ابن القيم: «ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال

١- والناس في موضوع الرؤيا والاستفادة منها بين طرفين وواسطة: فمنهم من: لا يؤمن بالرؤى ولا يعترف بها أصلا، وهذا مردود بالمنقول والمعقول، ومنهم من: يستغرق في الانشغال بالرؤيا ويعتمد عليها ويبالغ في الاهتمام بها وتبنيها وهي في أحسن أحوالها تسرّ ولا تغر، ومنهم: المعتدل وخير الأمور الوسط الذي يتعامل معها ويعتبرها، لكنه لا يعتمد عليها و لا يعتقد فيها، فهو غير منكر لها، ولا مبالغ فيها.

٢- أخرجه البخاري، في كتاب التعبير، باب القيد في المنام برقم (٧٠١٧) (٤ / ٣٠٣).

٣- يقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن قلم التعبير: "وهو قلم شريف جليل، مترجِم للوحي المنامي، كاشف له وهو من الأقلام التي تصلح للدنيا والدين، وهو يعتمد على طهارة صاحبه ونزاهته، وأمانته وتحَرِّيه للصدق والطرائق الحميدة، والمناهج السديدة، مع علم راسخ، وصفاء باطن، وحسٍّ مؤيد بالنور الإلهي، ومعرفة بأحوال الخلق وهيئاتهم، وسيرهم، وهو من ألطف الأقلام، وأعمِّها جولانًا، وأوسعها تصرُّفًا، وأشدها تشبثًا بسائر الموجودات؛ علويها وسفليها، وبالماضي والحال والمستقبل". ينظر: التبيان في أقسام القرآن ص (٢٦٧).

٤- أخرجه البخاري، في كتاب التعبير، باب المبشرات برقم (٦٩٩٠) (١٤ / ٤٠٣).

٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (٤ / ٥٢٣).

والمحافظة على الأوامر والنواهي، ولينم على طهارة كاملة، مستقبل القبلة، ويذكر الله حتى تغلبه عينه، فإن رؤياه لا تكذب البتة، وأصدق الرؤيا ما كان بالأسحار فإنه وقت النزول الإلهي، واقتراب الرحمة والمغفرة وسكون الشياطين، وعكسه رؤيا العتمة عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية»[1].

والرؤيا الصادقة وأهميتها في المعرفة واستشراف المستقبل وصناعته موضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسة والنظر، ولعلّ في العلاقة بينها وبيّن النبوة أنّ في كل منهما أسرارا وعلوما من الغيب والمستقبل.

المطلب السادس: توفيق الله تعالى وتسديده بالدعاء والاستخارة والتوكل عليه واللجوء إليه:

وفي سياق الكلام عن توفيق الله تعالى وتسديده، وكشفه للداعية مستقبل أيامه وما سيقع من أحداث ومتغيرات، فالتأكيد هنا على أهمية الأخذ بالوسائل والأسباب[2] المادية المباشرة المحسوسة كالنصوص الشرعية، والاجتهادات العلمية من أهلها، والنظر في السنن الكونية والاعتبار بها، والتجربة والخبرة الميدانية، والرؤيا الصالحة يراها الداعية أو ترى له، فإنّ الأسباب والوسائل المعنوية لاستشراف المستقبل ومعرفته والكشف عنه ينبغي أن تكون حاضرة، وعلى رأس تلك الوسائل والأسباب المعنوية توفيق الله تعالى بصدق اللجوء إليه، وإخلاص الدعاء له، وهذه المعاني السامية لا تنافي الأخذ بالأسباب والوسائل كما يظنه البعض، بل هي قبل الأسباب، وبعد الأسباب، ومن أقوى الأسباب، وعلى رأسها الدعاء فهو العبادة[3].

١- مدارج السالكين، لابن القيم (١ / ٧٦).

٢- ينظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ص (٤٥٩).

٣- قال الإمام ابن القيم: "فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة. لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به،فإذا اعتقد العبد أن توكله لم ينصبه الله سببا، ولا جعل دعاءه سببا لنيل شيء فقد وقع في الوهم الباطل، فإن الله سبحانه وتعالى قضى بحصول الشبع إذا أكل المرء، والري إذا شرب، فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو". ينظر: مدارج السالكين (٢ / ١١٨).

فمما يُعين الداعية إلى الله على معرفة المستقبل، ويساعده في استشرافه توفيق الله تعالى له وتسديده في ذلك؛ وذلك بحسن نيته وتصحيحها، وإخلاص مقصده، وكثرة دعائه وطلبه العون والتوفيق من الله، وذلك أنّ الدعاء هو طلب، والطلب متوجه للمستقبل، فالداعي يتلمس المستقبل ويقصده، والمستقبل المغيب هو إما نفع متوقع أو ضرّ متوقع «والدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار»[1].

والدعاء أصل مهم لتحصيل الصواب ونوال السداد، وتسهيل القادم، ووضوح الرؤية، وإدارة المستقبل ولذلك كان من دعائه ﷺ في استفتاح صلاة الليل: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». ويؤكد الإمام ابن القيم رحمه الله هذا المعنى لكلّ من يقوم بدور مهم كالدعوة والتوجيه والفتوى ونحوها: «ينبغي للمفتي الموفق إذا نزلت به المسألة أن ينبعث من قلبه الافتقار الحقيقي الحالي لا العلمي المجرد، إلى ملهم الصواب ومعلم الخير وهادي القلوب أن يلهمه الصواب ويفتح له طريق السداد، ويدله على حكمه الذي شرعه لعباده في هذه المسألة»[2].

ويتفرع عن الدعاء من وسائل استشراف المستقبل ومعرفته «**الاستخارة**»[3] لأنّها تتعلق بالمستقبل؛ والداعية بحكم مسؤولياته وما يتصدر له من مهام وتبعات، كما أنّه كغيره من الناس، قد يعتريه القلق، وتتداخل عنده الرؤى والاجتهادات، فيقع في الخوف من المستقبل المجهول الذي يترقبه، ويتردد مرات ومرات، فهل يقدم على هذا الفعل؟ أم على غيره؟ وهل الأولى الإقدام أصلا عليه؟ أم الإحجام عنه؟ فشرع الله له في مثل هذه الحالات وعند هذه المواقف الاستخارة، لتكشف

١- ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ص (٤٥٩).
٢- ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم (٤ / ١٣١).
٣- ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم (٤ / ١٣١).

له بصيصا من المستقبل الذي ينتظره، وتساعده على الاطمئنان بما سيختاره الله تعالى له، ويقدم عليه، فعن جابر ﷺ قال: «كان ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها يقول: «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علاّم الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته»[1]. فمن هذا الدعاء ((وعاقبة أمري)) والعاقبة هي المستقبل، فدعاء الاستخارة مسلك شرعي، وطريق سليم، ووسيلة مشروعة، تؤكد أنّ في الحلال ما يُغني عن الحرام، فقد حرم الله تعالى على عباده الاستقسام بالأزلام وعوضهم عنه بذلك الدعاء[2].

يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «لما كانت الدلائل والبينات تتعارض في بعض الأمور، والترجيح بينهما يتعذّر في بعض الأحيان، فيريد الإنسان الشيء فلا يستبين له الإقدام عليه خير أم تركه، فيقع في الحيرة؛ جعلت له السنة مخرجا من ذلك بالاستخارة حتى لا يضطرب عليه أمره، ولا تطول غمّته»[3]. والدعاء طريق لمعرفة شيء من علم الله، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ (البقرة:٣٢).

١- أخرج البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة برقم (٦٣٨٢) (١١ / ١٨٣).

٢- فإنّ من محاسن الشريعة الإسلامية، أنها لم تُحرم شيئًا إلا عوضت خيرًا منه، مما يسد مسده، ويغني عنه، فالله تعالى، لم يضيق على عباده من جانب، إلا وسَّع عليهم من جانب آخر، من جنسه، لأنه حاشاه لا يُريد بعباده العنت والرهق، بل يُريد بهم اليُسرَ والرحمة، وقد بين ابن كثير رحمه الله أن الله حرّم الاستقسام وما شابهه، وأمر المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه. ينظر: تفسير القرآن العظيم له (٢ / ١٨).

٣- ينظر: تفسيره المنار، (٦ / ١٥٢) عند تفسيره للآية الثالثة من سورة المائدة.

نسأل الله أن يحسن خاتمتنا، وأن يجعل عاقبتنا إلى خير، وأن يجعل المستقبل لهذا الدين (آمين).

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

وفي الختام أحمد الله تعالى على التمام وأسأله حسن الختام،وأن يجمعني في الجنّة مع نبينا محمد ﷺوصحبه الكرام، ومن سار على هديه واتبع سنته من الأنام، كما أسأله أن يجيب دعوتي، ويستر عورتي، ويغفر زلتي

وأخيرًا فإني أحمد الله عز وجل الذي منّ عليّ بإتمام هذا الدراسة، وحضوري في هذه الندوة المشهودة فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان، والعذر في ما بذلته من الجهد، وقضيته من الوقت في التفرغ والجمع والتأصيل، والمطالعة والاستفادة في الكتب والمسائل، وبعد هذه الجولة الشيقة والماتعة والمتشعبة في (**أهمية استشراف المستقبل والتخطيط له وحاجة الدعوة والداعية إليه وأهم وسائل وطرق ذلك**) وتأصيل هذا الموضوع، وإبراز ما فيه من المعاني والمعالم والدلالات، فأختصر هنا أهم التوصيات التي تمخضت من خلال هذه الدراسة ونتائجها، والجهد المتواضع فيها، **وهي**[1]:

١- يوصي الباحث نفسه وطلاب العلم وجميع المسلمين بتقوى الله عز وجل، ويدعوهم إلى التمسك بدين الله، والقبض على دينهم وخاصة في هذه الأيام فإنّ القابض على دينه كالقابض على الجمر، ومن اتقى الله والتزم بأوامره ونواهيه؛ فقهه الله في الدين ووفقه لكلّ خير، وأعانه على استشراف المستقبل ومعرفته، فالعلم من الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾(البقرة:٣٢). وأصل ذلك كله تحقيق الإيمان في القلوب، ومعرفة أن الله تعالى استأثر بمعرفة الغيب فلم يطلع عليه أحد إلا من ارتضى من رسول، وأنّ أيّ ادعاء بعلم الغيب مردود، مع التأكيد أنّه لا يجوز أن يجزم ببعض أمور الغيب إلا الرسول ﷺ بالوحي إليه، وكل

١- واكتفيت بسبعة تيامنا بهذا الرقم الذي ورد في كثير من نصوص السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ والسلام.

معرفة يصل إليها غيره ﷺ فهي معرفة ناقصة وجزئية لا يقطع بها، ولا يعتمد عليها، بل يستأنس بها، ويؤكد الباحث أنّ من كمال الإيمان وتحقيقه محاربة السحر والشعوذة والكهانة والعرافة وكلّ ما يفضي إلى الشرك من الوسائل والأساليب غير المشروعة في استشراف المستقبل ومعرفته واستكشافه.

٢- يوصي الباحث نفسه وجميع الباحثين، والدعاة العاملين بزيادة الاهتمام والعناية بهذين المصدرين الجليلين والوحيين المليئين **(الكتاب والسنة)** والردّ إليهما في كلّ صغيرة وكبيرة، ليفتح الله على كلّ من يبحث ويوفق كلّ من يدعو قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٨٣)، فعلمهما لا يتناهى ولا تنقضي عجائبه، ولا ينقص مع كثرة الأخذ، وفيهما الكفاية، وبالعيش معهما وخوض غمارهما، يقف الداعية بإذن الله على ما يصلح له دنياه وآخرته، وتفتح عليه كنوز العلم والمعرفة والمستقبل؛ ولا أدلّ على ذلك من تلك المعالم والمعاني والدلالات التي ظهر جزء قليل منها في دراستنا حول المستقبل والتخطيط له واستشرافه ووسائل معرفته واستكشافه، وبغير العلم الشرعي الأصيل المعتمد على الكتاب والسنة، فلا معنى للدعوة بل إنّ الخوض في غمار الدعوة وميادينها؛ بدون علم يترتب عليه من الآثار الوخيمة مالا تحمد عقباه، وإنّ تقصير الداعية في العلم والتعلم نذير خطر يهدده ويهدد دعوته، وذلك لأن: «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح»[1].

٣- يوصي الباحث نفسه وإخوانه الباحثين، والجامعات، ومراكز البحث العلمي، والمهتمين بالدراسة والتأصيل، الاهتمام بـ بالفقه في الدين عموما، والفقه في الدعوة على الخصوص لمن أراد أن يمارسها، ويقتحم ميادينها؛ لأنّه بهذا

١- مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١ / ١٣٠).

الفقه الدعوي من خلال النصوص الشرعية، والتجارب الشخصيّة، والسنن الكونيّة، يحقق البصيرة في الدعوة المطلوبة شرعا: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨)، ولا تحصل هذه البصيرة المأمور بها والتي هي علامة الإتباع إلا بالعلم والفقه في الدين، وبذلك تُثمر الدراسات الدعويّة نتائجها المرجوّة وتؤتي الجهود الدعوية أكلها المطلوب، وقبل ذلك وبعده تُحمد الطريقة، ويتمّ الاقتداء ويشكر في هذه السياق القائمين على هذه الندوة،وهذه الكلية لدورهم التاريخي والمستقبلي إن شاء الله في ذلك.

٤- يوصي الباحث نفسه وجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله تعالى؛ الاهتمام والتفقه في المستقبل ودراساته، لأنّ المستقبل هو الحياة القادمة كلها، وهو الوعد القريب إن شاء الله بالنصر والتمكين، ولكن العناية والاهتمام بهذا الفقه المستقبلي والدراسات الاستشرافيّة ينبغي أن يكون باعتدال، وأن يقدر بقدره، وأن لا يحصل الاندفاع والمبالغة في هذه الدراسات وهذا الاستشراف كما هو في الغرب، الذي لا تملك ثقافته الأدوات والوسائل الموثوقة لاستشراف المستقبل واستكشافه، أما في الثقافة الإسلامية؛ فلقد اهتمت نصوص الوحي به، وبقدر معلوم يدفع كل واحد منّا إلى استشراف مستقبله، والتخطيط لحياته؛ ليكون بعيد النظر، ممتدا بحياته في الدنيا إلى الحياة الأخرى، ويفتح المجال للاستشراف والتوقع المشروع المضبوط.

٥- يوصي الباحث نفسه وجميع المهتمين بالدراسات الدعويّة؛ أن يدركوا أهمية نصوص السنة النبوية ودراستها عموما، وما يخص المستقبل واستشرافه خصوصا، لأنّه أصبح اليوم ضرورة شرعية وحياتية، بل هو قبل ذلك وبعده حاجة فطرية، وسنة كونية لا يستغني عنه الجميع ، ومضامين هذا البحث كلها دالة على ذلك، وهدي الرسول ﷺ بالمستقبل واستشرافه والتشمير والتخطيط

له، كلّها تدفع لذلك؛ رغم أنّه ﷺ سيد المتوكلين، وفي ذلك وغيره تأكيد على أتباعه من الدعاة إلى الله أن يقتدوا به، وأن لا يقفوا مكتوفي الأيدي - موقفا سلبيا - من المستقبل ومتغيراته و أحداثه التي ستحل بدارهم (**وكلّ ما هو آت قريب**).

٦- يوصي الباحث نفسه وجميع المهتمين بالعلم والدعوة الاجتماع على كلمة سواء على مائدة السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ والسلام، للتشاور والتدارس وتبادل الخبرات حول واقع الدعوة ومستقبلها، وكل ما يهم نشر الإسلام وتمكينه، ونصرة المسلمين وعزّتهم، سائسهم ودليلهم الذي يسترشدون به في ذلك هو الوحي، والمحجة البيضاء، وليثقوا بالله تعالى، ويطمئنوا بما لاشك فيه؛ **أنّ الأمر لله من قبل ومن بعد، وأنه في نهاية المطاف ستكون العاقبة للمتقين، والمستقبل لهذا الدين**.

٧- يوصي الباحث باستشراف المستقبل والتخطيط له، وإعطائه مزيدا من النظر والمراجعة من خلال عقد مؤتمرات وندوات دوريّة في ذلك، يجمع لها أهل العلم الثقات من الفقهاء المتمكنين، والدعاة المصلحين العاملين، ليخرجوا برؤية مشتركة حول أولويات الدعوة في كلّ مجال من مجالاتها، وفي مختلف ميادينها ومشاركاتها في مستقبلها القريب والبعيد، كما يوصي الكليات الشرعية المتخصصة، وخاصة كليات الشريعة والدراسات الإسلامية والدعوة، بإعطاء مزيد من الدراسات لاستشراف المستقبل والتخطيط له، من خلال المحاضرات، والدروس، والبحوث، والمواد المقررة، والحاجة في نظري ماسّة؛ إلى تقرير مادة دراسية تعني بـ: (**استشراف المستقبل والتخطيط له وحاجة الدعوة والداعية إليه**).

المصادر والمراجع

- أبجد العلوم، لصديق بن حسن القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
- الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، لعبد المجيد السوسوة، كتاب الأمة عدد رقم (٦٢).
- آداب المتعلمين، للدكتور أحمد الباتلي، دار القاسم، الرياض، ١٤١٨هـ.
- أساس البلاغة، للزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، لحمد بن ناصر العمار، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ.
- أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ط٥، دار الوفاء، مصر، ١٤١٢هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.
- الاعتصام، للشاطبي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، لابن القيم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- تحفة الأحوذي، للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لابن جماعة، ط٣، دار المعاني، عمّان، ١٤١٩هـ.
- التعريفات، الشريف علي الجرجاني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.
- التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)، للرازي، ط٢، دار الفكر، مصر، ١٤٠٣هـ.
- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ط١مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١١هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للبغدادي، طبعة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، لعبد الغني جبر، ط١، ١٤٢٢هـ.

- الدراسات المستقبلية من منظور تربوي، لفاروق فلية، وأحمد عبد الفتاح، دار المسيرة للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.
- الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، لعبد الله محمد المديفر (بحث ماجستير غير منشور).
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، لأحمد أحمد غلوش، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- الدعوة إلى الله (الرسالة - الوسيلة – الهدف)، لتوفيق الواعي، ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ١٤١٦هـ.
- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، للشيخ ابن باز، طبعة الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ.
- الدعوة قواعد وأصول، لجمعة أمين عبد العزيز، ط٢، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ.
- دلائل النبوة، للإمام البيهقي دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الرد على المنطقيين، لابن تيمية ص (٣٧٢)، ط١، دار ترجمان السنة، لاهور باكستان، ١٣٩٦م.
- الرسالة، للإمام للشافعي، تحقيق أحمد شاكر، ط١، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ.
- الروح، لابن القيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
- زاد الداعية إلى الله، لمحمد العثيمين، إعداد فهد السليمان،ط٣، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ط١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- سر تأخر العرب والمسلمين، للشيخ محمد الغزالي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، طبعة دار الفكر، بيروت.
- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، الدكتور عبد الكريم زيدان.
- سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.
- سنن الدارمي، للإمام عبد الله الدارمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ط٣، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م
- الصحوة الإسلامية، لمحمد قطب، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٠م.

- الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق، ٢٠٠٢م.
- صحيح الجامع الصغير، للألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٨هـ.
- صحيح سنن الترمذي، للألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- صفات الدّاعية، لحمد بن ناصر العمار، ط١، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ط٣، دار العاصمة، ١٤١٨هـ.
- عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبي بكر بن العربي،دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- العلاقة بين الفقه والدعوة، مفيد خالد عيد، ط١ مكتبة دار البيان، الكويت، ١٤١٦هـ.
- عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة، أحمد صدقي الدجاني، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داوود، للعظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، ط١، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م،.
- فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، ط١، دار أحياء التراث بيروت، ١٤١٨هـ.

- الفروق، للإمام القرافي، دار المعرفة، بيروت.
- فضل الدعوة إلى الله، لفضل إلهي، من مطبوعات الجريسي، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- فقه الأولويات الدعوية دراسة تأصيلية تحليلية، لعلي الطالب الشنقيطي (دراسة دكتوراه للباحث غير منشورة).
- فقه الأولويات دراسة في الضوابط، لمحمد الوكيلي، ط١، من مطبوعات المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٤١٦هـ.
- فقه الدعوة إلى الله، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ.
- فقه الدعوة إلى الله، لعلي عبد الحليم محمود، ط٣، دار الوفاء، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- فقه السؤال والجواب وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى، لعلي الطالب الشنقيطي (دراسة ماجستير للباحث غير منشورة).
- فقه الموازنات الدعويّة معالمه وضوبطه، لمعاذ البيانوني، ط١،من مطبوعات شركة الإبداع الفكري، الكويت، ١٤٢٦هـ.
- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٧هـ.
- في فقه الأولويات دراسة في ضوء القرآن والسنة، ليوسف القرضاوي، ط٢، مكتبة وهبة، مصر، ١٤١٦هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي.

- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام.
- قواعد الدعوة إلى الله، لهمام عبد الرحيم سعيد، ط٣، دار الوفاء، مصر، ١٤١٢هـ.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبعة مكتبة المعارف، الرباط.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٤١٢هـ.
- المستقبل الحق خطواته من الدنيا إلى الجنة، محمد جميل مصطفى، ط١، دارة المنارة، جدة، ١٤١٩هـ.
- معالم السنن شرح سنن أبي داود، للخطابي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.
- المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، ط٢.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، بتحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام ابن القيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي، وليد عبد الحي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث.
- منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبيﷺ معاذرضي الله عنه، لعبد الرحيم المغذوي، ط١، دار إشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، تحقيق، عبد الله درّاز، دار المعرفة، بيروت.
- نبوءات الرسول ﷺ ما تحقق منها وما يتحقق، محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي، ط٦.
- نحن والمستقبل، قسطنطين زريق، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت١٩٨٠، م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
- وسائل الدعوة، لعبد الرحيم محمد المغذوي، ط١، دار إشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ.